من مكايد الشيطان والتحذير منها كما عرضها القرآن الكريم

تفسير موضوعي

د. منظور بن محمد بن محمد رمضان
قسم الدراسات القرآنية ـ كلية المعلمين بمكة المكرمة

ملخص البحث :

تظهر أهمية البحث وثمرته من حيث استمداده وموضوعه ومنهجه، ومن حيث صلته بالمجتمع وحاجتهم إليه ومدى تحقيقه للأهداف والنتائج والغايات المرجوة من ورائه، وإنّ موضوع " من مكائد الشيطان والتحذير منها كما عرضها القرآن الكريم" من الموضوعات المهمة التي نحن في أمس الحاجة إليها ؛ لأن به يتضح السبيل ويتحدد المصير، لا سيما في زمان أعرض كثير من الناس عن القرآن الكريم الذي هو نبراسنا وطريقنا ومنهجنا، وعاصمنا من الزلل، ومرشدنا إلى الخير، وقائدنا وهادينا وإمامنا إلى الله تعالى، واتخذوا الشياطين أولياء من دون الله توحي إليهم من الوسوسة والزيغ والضلال وزخرف القول غرورا .

ومما يهدف إليه البحث تأصيله بالقرآن الكريم وبالسنة الصحيحة ثم بأقوال صحابة رسول الله ﷺ ومن خلال الاستدلال بوقائع حصل فيها الإحياء بعد الموت. إخراج هذا الموضوع ـ الذي لم يسبق أن كتب فيه حسب علمي ـ بمنهج التفسير الموضوعي، بأسلوب سهل ميسر، وإيصاله إلى مسامعهم. وكذلك إيقاظ المسلمين ـ لا سيما في زمان الماديات ـ من غفلتهم التي أنستهم عداوة الشيطان ومكايده وتبصيرهم بأسباب الخير وهدايتهم إلى الحق وإلى صراط مستقيم، حتى لا ينقادوا للشيطان فيقعوا في مخالفات يسول لهم الشيطان وأعوانه فيستوجبوا مقت الله فيكون ذلك سببا للعذاب الإلهي العام.

مقدمة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد:

فإنّ من تكريم الله للإنسان أن خلق أبا البشر آدم عليه السلام بيديه وأسجد له ملائكته واستخلفه في الأرض، وكتب له ولذريته السيادة والقيادة في الوجود، فسخر لهم ما في الكون لمصلحتهم، قال ﷻ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ..﴾ [الجاثية ١٣] وقال ﷻ: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم ٣٤].

ولم يكن هذا التكريم والرعاية للإنسان إلا لغرض عظيم ولغاية أسمى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ...﴾ [البقرة ٣٠] (١).

وبين الله في كتابه مضمون هذا الاستخلاف بقوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب ٧٢] وبين ما يترتب على تحمل هذه الأمانة والخلافة من الجزاء فقال: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب ٧٣] وقال ﷻ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ...﴾ [الملك ٢].

ولتحقيق الابتلاء المذكور في الآيات وفق الإرادة الإلهية، وليتميز بذلك أولياء الرحمن من أولياء الشيطان وأتباعه ليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين، أوجد الله تعالى لآدم عليه السلام منذ أن خلقه ولذريته من بعده شيطانا خصما عدوا لدودا قد ناصبهم العداوة متحديا معلنا بها: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾

(١) مفردات ألفاظ القرآن (٢٩٤).

[الأعراف ١٧] فهو يلازمهم في كل حين ولحظة موسوسا لهم، وفي هذا المعنى يقول الله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ...﴾ [الأنعام ١١٢] ويقول الله ﷻ: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ﴾ [الأنعام ١٢١] ويقول ﷺ: "ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن" قالوا: وإياك ؟ يا رسول الله ! قال: "وإيَّاي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير" [(١)]. ويقول ﷺ: "إنّ الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم".وفي رواية: "إنّ الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم" [(٢)]. وفي حديث آخر يقول ﷺ: "إنّ الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله خنس، وإن نسي التقم قلبه، فذلك الوسواس الخناس"[(٣)].

ولا يخفى على كل ذي لب أن الشيطان لا يأمر الإنسان بالشر أو ينهاه عن الخير مباشرة مشافهة ؛ وإنما لحرصه على إضلال البشر يغوي الغافل المفتون منهم بطرق شتى وحيل كثيرة بالمكر والمكيدة والخديعة بنفسه أو بأعوانه من شياطين الإنس والجن، يقول ﷻ: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ﴾ [الأنعام ١٢١].

ولكن الله تعالى بفضله وكرمه ومَنّه على عباده قد بين لهم في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ هذه المكايد الشيطانية بوضوح تام وحذرهم منها، حتى لا تبقى ملتبسة أو غامضة على أحد فيقعوا فيها، فقال تعالى:﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ ...﴾ [الأعراف ٢٧] وجعل كتابه وسنة رسوله ﷺ معتصما من الزيغ والضلال ومانعا وحافظا من هذه المكايد الشيطانية.

---

(١) أخرجه مسلم جـ٤/٢١٦٧.

(٢) أخرجه البخاري جـ٤/٢٧٨، ٢٨١، ومسلم جـ٤/١٧١٢.

(٣) قال ابن كثير أخرجه أبو يعلى وهو غريب جـ٤/٥٧٥، وذكره ابن أبي الدنيا وضعفه الألباني. ضعيف الجامع (٢١٣).

أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث وثمرته من حيث استمداده وموضوعه ومنهجه، ومن حيث صلته بالمجتمع وحاجتهم إليه ومدى تحقيقه للأهداف والنتائج والغايات المرجوة من ورائه، وإنّ موضوع "من مكائد الشيطان والتحذير منها كما عرضها القرآن الكريم" من الموضوعات المهمة التي نحن في أمس الحاجة إليها؛ لأن به يتضح السبيل ويتحدد المصير، لا سيما في زمان أعرض كثير من الناس عن القرآن الكريم الذي هو نبراسنا وطريقنا ومنهجنا، وعاصمنا من الزلل، ومرشدنا إلى الخير، وقائدنا وهادينا وإمامنا إلى الله تعالى، واتخذوا الشياطين أولياء من دون الله توحي إليهم من الوسوسة والزيغ والضلال وزخرف القول غرورا ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة ١٠٢].

ولقد انقاد أناس للشيطان واستلموا منه زمام الإضلال والغواية، فما حصل أو يحصل من التعديات في النفس والمال والعرض وهضم للحقوق وإهمال للواجبات إلا من جراء تناسي الناس أو تغافلهم عن مكايد الشيطان، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا في قولة تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ﴾ [يس ٦٠] فوُجد في شياطين الإنس من يفوق شياطين الجن غواية وإضلالا، نتيجة عبادتهم لشهواتهم وأهوائهم وإيثاراً لرغباتهم النفسية.

فمن خلال هذا الموضوع أوضح مكايد الشيطان وحِيَله ليحذر الإنسان من هذا العدو، ومِن ثَم فإن لهذا الموضوع أهمية كبرى وحاجة ملحة ماسة.

موضوع البحث:

دراسة الآيات التي تحدثت عن مكايد الشيطان لإضلال الإنسان، وعن كيفية طرق

الحيطة والحذر والوقاية منها، من حيث أهميتها وضرورتها ومن حيث منهج الآيات في عرض الموضوع، دراسة موضوعية ليتبين من خلاله لكل مسلم ضرورة معرفة المكايد الشيطانية وخطرها، ثم كيفية الحيطة والحذر منها، وما يجب على كل مسلم تجاهها حتى يجعلها نصب عينيه وشاغل همه ليبقى على حذر دائم من الشيطان فلا يقع في مكره وحبائله.

الهدف من البحث:

إن التفسير الموضوعي يختلف عن التفسير التحليلي أو الإجمالي، فمن حيث المراجع العلمية فإنه يعتمد بصورة كبيرة على الاستنباط والتلخيص لما في الآيات من المعاني والإرشادات والإشارات والأسرار القرآنية الدقيقة بعد الرجوع إلى التفسير بالمأثور والمعقول، كما يقول الزركشي: "أصل الوقوف على معاني القرآن التدبر والتفكر، واعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة، ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كِبر أو هوى أو حب الدنيا أو يكون غير متحقق الإيمان أو ضعيف التحقيق أو معتمدا على قول مفسر ليس عنده إلا علم بظاهر، أو يكون راجعا إلى معقوله، وهذه كلها حُجُب وموانع وبعضها آكد من بعض"[1].

ومن حيث المنهج فإنه يعتمد على الموضوعات القرآنية فحسب.

ومن حيث التحرير والأسلوب فإن المفسر يحتاج إلى تدبر آيات القرآن الكريم وإلى تعمق فكري لمعاني الذكر الحكيم وتذوق للبيان والأسلوب القرآني الرصين، وإلقاء نظرة عامة على جميع الآيات المجمعة من حيث تأليفها وترتيبها واستنباط العلاقة بينها وربط عناصر الموضوع بعضه ببعض، ثم سبك هذه المعاني في قالب من الحقائق مترابطة متصلة مثل سلسلة الذهب للخروج بنظرية قرآنية جديدة.

---

(١) البرهان جـ٢/ ١٨٠.

وهذا يتأتى: "إذا كان العبد مُصْغِيا إلى كلام ربه ملقي السمع وهو شهيد القلب لمعاني صفات مخاطبه ناظرا إلى قدرته تاركا للمعهود من علمه ومعقوله" [1] فإنه يفتح الله عليه أبواب معرفته بحيث يقف على أسرار عظمة كتاب الله تعالى.

ويمكن تلخيص بعض أهداف هذه الدراسة في النقاط التالية:

١- تحقيق مبدأ النصيحة التي يقوم عليها أساس جلب الخير ودفع الشر عن البشر، والتواصي بالحق وبالصبر امتثالا لقول الله تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [سورة العصر] ولقول النبي ﷺ: "الدين النصيحة" قال الصحابة: لمن يا رسول الله ؟، قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" [2].

٢- جمع ما يتعلق من الآيات بموضوع البحث، ثم البحث والنظر فيها من زاوية قرآنية محددة، ثم دراستها دراسة موضوعية وافية مركزة منحصرة على ما يتعلق بالموضوع شاملة لجوانبه فحسب، للخروج بنظرية قرآنية من حيث بيان أهمية موضوع مكايد الشيطان لإضلال الإنسان وضرورته، ومن حيث منهج الآيات في عرض الموضوع، دراسة موضوعية على نمط يغاير نمط الموضوعات العامة، بعيدا عن الإطالة المملة، ثم تفسير الآيات تفسيرا موضوعيا من كتب التفسير بالرواية والدراية، ثم من كتب السنة على أساس وحدة واحدة مترابطة [3].

---

(١) البرهان جـ٢/١٨١.

(٢) صحيح مسلم جـ١/٧٤.

(٣) هناك مؤلفات في مثل هذا الموضوع أو العنوان، مثل كتاب: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية ت: (٧٥١) هـ وكتاب: تلبيس إبليس لابن الجوزي البغدادي ت: (٥٩٧) هـ وكتاب: مصائب

٣- تأصيل البحث بالقرآن الكريم وبالسنة الصحيحة ثم بأقوال صحابة رسول الله ﷺ ومن خلال الاستدلال بوقائع حصل فيها الإحياء بعد الموت.

٤- إخراج هذا الموضوع- الذي لم يسبق أن كتب فيه حسب علمي- بمنهج التفسير الموضوعي، بأسلوب سهل ميسر، وإيصاله إلى مسامعهم بوضوح تام ليسهل عليهم فهمه وإدراكه ثم السير على نهجه دعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وإرشادا ونصحا بالتي هي أحسن.

٥- إيقاظ المسلمين- لا سيما في زمان الماديات- من غفلتهم التي أنستهم عداوة الشيطان ومكايده وتبصيرهم بأسباب الخير وهدايتهم إلى الحق وإلى صراط مستقيم، حتى لا ينقادوا للشيطان فيقعوا في مخالفات يسول لهم الشيطان وأعوانه فيستوجبوا مقت الله فيكون ذلك سببا للعذاب الإلهي العام.

الأهداف التربوية في البحث:

إن قضية التربية قضية حساسة وفي بالغ الخطورة؛ لأنها تحدد مصير الإنسان في دنياه قبل آخرته ويتوقف عليها إما سعادة أبدية أو شقاوة أبدية مبنية على بصيرة، قال تعالى: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال ٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة ١١٥].

الإنسان من مكايد الشيطان لأبي إسحاق ابن مفلح المقدسي الحنبلي، لكن هذه المؤلفات أولا لم تسلك منهج التفسير الموضوعي، بحيث يخضع الموضوع للآيات القرآنية على وجه التقيد كما هو المعروف في منهج بحثه، فأدخلت في مضمونها كل ذكر للشيطان أو ذكر الاستعاذة سواء من قريب أو من بعيد مما جعلها تتسم بالإسهاب والإطالة، ثم لم تقتصر على دراسة المكايد الشيطانية فحسب بل تطرقت إلى أمور أخرى قد تكون لها علاقة بعيدة، مثل الحديث عن الفرق وعن القلب وعن العبادات والمعاملات وعن الأمم السابقة كما ذكر ذلك المحقق في مقدمتها، فأصبحت بذلك متشعبة الأطراف.

ومن ثم جدير بنا أن نعطي لمحة عن مثل هذا الموضوع لكي نقدم للأمة ما هي في أمس الحاجة إليه، لا سيما في مثل هذه الظروف الحرجة التي تحيط بالأمة الإسلامية بل البشرية عامة حيث تشكو حاجتها الماسة إلى تربية يتكون منها فرد صالح، بعد أن جربت جميع المناهج الأرضية وأدركت فشلها في إيجاد الفرد الصالح الذي يتكون منه مجتمع وأمة صالحة.

كما أنها الأساس واللبنة الأولى إلى التقدم والرقي في شتى المجالات، والمعيار الذي به توزن أفكار الأمم ومواهبها ويعرف رقي الشعوب من انحطاطها وتقدمها من تأخرها وإن اختلفت أنظار الأمم في مدلولها.

ولقد ارتفعت في عصرنا الحاضر أعلام التربية واكتسى عنوانها ثوب البهرجة والتزويق معنىً ومفهوما حتى تجاوز حده ونادى المفكرون مكرسين جهودهم على تحقيق مفهوم التربية وانصبت جهود كبيرة على مستوى الدول على تحقيق هذا الهدف حسب المفاهيم والاتجاهات، وتبع ذلك بناء صروح شامخة وخصصت لها ميزانية ضخمة تتولى العناية بها، فأصبحت التربية حديث الساعة والشغل الشاغل للمجتمعات البشرية.

إلا أنه اختلفت أنظار المربين وتباينت أفكارهم في تحديد معنى ومفهوم التربية ثم اختيار مورد ومصدر التربية الذي يحقق هذا الغرض النبيل تبعا لمعتقدها ومبادئها، فالذين ينادون بالتربية المجردة عن تعاليم القرآن الكريم قد جانبوا الحقائق وضل سهمهم عن إصابة الهدف، فمنهم من تقمص مبادئ الغرب وعض عليها بالنواجذ، ومنهم من التحف برداء الأوروبيين واختبأ تحت أجنحتهم متأثرا بأفكارهم الفارغة وبآرائهم السقيمة وبتجارب ونظريات قدمائهم الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [يونس ٣٦] ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [يونس ٦٠] فهيهات هيهات.

وآخرون وهم جيل القرآن الكريم اتخذوا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ طريقا وسراجا منيرا تربية وسلوكا، لم يعرفوا أي فلسفة أو نظرية أو تجربة تربوية بالرغم من ذلك كله سادوا العالم قيادة ومنهجا فأصابوا الهدف، فأصبحوا بذلك على تباين كبير في تحديد معنى التربية ومفهومها وحقائقها ومصادرها.

ولو استعرضنا تاريخ المجتمعات منذ فجر الإسلام لوجدنا أنه لم تتشرف الدنيا ولم تسعد الأرض بل لم تكتحل العين بمجتمع مثل عصر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك المجتمع الفذ الفريد من نوعه وما ذاك إلا بفضل التربية المحمدية التي أشاد القرآن الكريم بفضلها: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الشورى ٥٢].

لقد تربى هذا المجتمع على كتاب الله، وكتاب الله له مكانة في نفوس المؤمنين وهذه المكانة ليست لأي كتاب آخر على الإطلاق، كما أنّ له تأثيراً مباشراً فى القلوب في إعداد الفرد الصالح، فهو يأخذ هذا الإنسان بكامله بجسمه وروحه وعقله، فينفذ إليه من جميع منافذه ويربيه تربية عامة شاملة، ثم يسايره في جميع أحواله وظروفه المختلفة. حتى يجعله يمشي على هذه الأرض بجسمه وهو متوجه إلى السماء بروحه، لأنه يتلقى تعاليمه من لدن حكيم عليم ويتخرج في المنهج الإسلامي.

إذا التربية حقيقة توقيفية لا تقبل الاجتهادات الإنسانية ولا الخيالات البشرية، رسمها وخطها الشارع الحكيم، لأنه أدرى بحال الناس من الناس، قال تعالى: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾ [النجم ٣٢].

ونظرا لذلك فإن أولي الأحلام والنُّهى والصلاح ينظرون إليها في كل الأحوال مِن

خلال نافذة شرع الله ويضبطونها بضابط شرع الله ومن منظور المنطق والقيم السليمة السامية، لا سيما بعد أن جربت الإنسانية جميع المناهج الأرضية فأدركت فشلها في إيجاد الفرد الصالح الذي يتكون منه المجتمع الصالح والأمة الصالحة، ولو اجتمع أهل الأرض على أن يأتوا بمثل القرآن الكريم مبدأ ومنتهى منهجا وسلوكا لما استطاعوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وصدق الله حيث يقول: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء ٩] وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [سورة الكهف ١- ٢].

فهو فريد في منهجه وأسلوبه وتربيته يهدف إلى تكوين الإنسان الصالح في شتى المجالات، بينما المناهج الأخرى تهدف إلى تكوين المواطن الصالح لبلده ومجتمعه فحسب، وتكوين الإنسان الصالح أدق وأشمل وأعمق من إعداد المواطن الصالح، لأن المواطن الصالح هو ذلك الإنسان المقيد بالأرض بل بقطعة منها لا يصلح لغيرها، وإن علما ما إذا لم يكن له نصيب في توجيه الأمة توجيها شاملا فلا خير فيه البتة.

ولقد حرص القرآن الكريم منذ نزوله في بيان مكايد الشيطان وطرق غوايته وحيله ليحذره الإنسان ويتخذه عدوا، لئلا يقع في مخالفة أو معصية فيكون قرينه ووليه، وهذه العناية القرآنية والتربية المحمدية إنما جاءت لتقيم الإنسان في هذه الحياة وتشعره بأن الله ما أوجد هذا الشيطان العدو إلا للابتلاء وأن مصير الإنسان مرهون بهذا الابتلاء، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا في عدة مواضع مبينا آثار الانقياد للشيطان وما يترتب على ذلك فقال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ

أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف ٢٧-٣٠].

فإذا تواصى المسلمون وأيقظوا في نفوسهم الشعور الدائم بعداوة الشيطان، وحمل كل رجل ومعلم على عاتقه تعليم من يقع تحت مسؤوليته في بيان هذه المكايد الشيطانية على الدوام والتحذير منها في كل حين ولحظة ولقنوا الأطفال منذ الصّغر قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾ [النساء ١١٩- ١٢١] حتى تصبح عداوة الشيطان ركيزة في نفوسهم وعقيدة راسخة في قلوبهم لا يضلون أو ينحرفون عنها، فإذا ما تربى مجتمع على مثل ما تربى عليه أصحاب محمد ﷺ واستحكم فيه هذا الاعتقاد فإن الله سيعيذهم من الشيطان كما أعاذ مريم بنت عمران عليها السلام.

بهذه التربية القرآنية كان يربي النبي ﷺ أصحابه في كل شؤون الحياة وهكذا كانت مدارسهم وهكذا كان لها الأثر الطيب في استقامة الأمة، ترى لو أخذ الخلف ببعض ما عني به السلف من التربية وقام كل مسؤول على من استرعاه الله أمره، وقامت المدارس والمعاهد والجامعات وقام المدرسون بهذا الواجب في مختلف الحقول العلمية والعملية صغيرها وكبيرها منذ أول دخول الطفل مدرسته كما كان يفعل المصطفى ﷺ روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة مكانها: عليك ليل طويل فارقد. فإذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عُقَدُه كلها، فأصبح نشيطا

طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان" وعن عبد الله ﷺ قال: ذُكِر عند النبي ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح قال: [ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه أو قال: في أذنه] وقال ﷺ: "أما إن أحدكم إذا أتى أهله وقال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فرزقا ولدا لم يضره الشيطان"[1] وقال ﷺ: "كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه بإصبعيه حين يولد، غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب"[2] وقال ﷺ: "التثاؤب من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا قال: "ها "ضحك الشيطان"[3].

فما أجدر وأليق بنا معشر الأمة الإسلامية أن نهتم بهذه القضية المصيرية، ونقدرها حق قدرها.

منهج الآيات في عرض الموضوع:

إنّ منهج الآيات التي تناولت الموضوع بمجموعها مكيها ومدنيها تنقسم إلى قسمين:

قسم منها يتكلم عن مكايد الشيطان وحيله ومكره، والآخر يتكلم عن بيان طرق الحيطة والحذر من هذه المكايد.

أما منهجي في عرض آيات هذا الموضوع، فإنني سأتناول الكلام فيه - إن شاء الله -حسب مقتضى ورود الآيات، وحسب مفهومها وما جاء فيها من بيان من ناحتين:

أولا: من خلال ذكر مفهوم مكايد الشيطان التي يتصيد بها البشر، مستدلا بذلك من كتاب الله العزيز ومن سنة نبينا محمد ﷺ.

ثانيا: من خلال ذكر طرق الحيطة والحذر من هذه المكايد والمصايد الشيطانية كما عرضها القرآن الكريم، مستشهدا بالآيات القرآنية وبالسنة النبوية الشريفة، وبأقوال

(١) صحيح البخاري جـ٦/٣٣٥.

(٢) صحيح البخاري جـ٦/٣٣٧.

(٣) صحيح البخاري جـ٦/٣٣٨.

سلفنا الصالح رضوان الله عليهم [1].

خطة البحث:

وقد اشتمل البحث على: مقدمة، وتمهيد، وفصلين، .وسبعة عشر مبحثا وخاتمة.

المقدمة وفيها: بيان أهمية البحث وضرورته، موضوع البحث، الهدف من البحث، الأهداف التربوية، منهج الآيات في عرض الموضوع.

التمهيد وفيه: **تعريف المكايد.**

الفصل الأول: في مكايد الشيطان: وتحته اثنا عشر مبحثا.

المبحث الأول: مكيدة: "تزيين الباطل" الثاني: مكيدة "تسمية الأشياء بغير اسمها" الثالث: مكيدة "استحلال المحرمات" الرابع مكيدة "إنساؤه للإنسان ما فيه الخير والصلاح" الخامس: مكيدة "الوعد والتمنية" السادس مكيدة: "إظهار النصح للإنسان" السابع مكيدة: "تخويف المؤمنين من أوليائه" الثامن مكيدة: "إلقاء الشبهات" التاسع مكيدة: "الزهو والكبر" العاشر مكيدة: "اتّباع الهوى" الحادي عشر مكيدة: "الشهوات والرغبات النفسية".المبحث الثاني عشر مكيدة: "التلبيس"

الفصل الثاني: طرق الحيطة والحذر من مكايد الشيطان: وتحته خمسة مباحث.

المبحث الأول: "الالتزام بالكتاب والسنة".الثاني: "الاستعاذة بذكر الله والالتجاء إليه والاحتماء به من الشيطان".الثالث: "الاستعاذة من همزات الشيطان".الرابع: "لزوم الجماعة" الخامس: "فوائد جليلة وحِكَمٌ عظيمة للاستعاذة".

ثم الخاتمة والمراجع.

* * *

(١) والآيات في هذا الموضوع منها ما هي مكية ومنها ما هي مدنية، وفيها المكرر ما يندرج تحت معنى ومفهوم الآيات المذكورات.

تمهيد: تعريف المكايد:

قال ابن فارس: "الكاف والياء والدال" أصل صحيح يدل على معالجة الشيء بشدة، ثم يسمون المكر كيدا، قال تعالى: ﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ﴾ [الطور ٤٢][1] وهو كما قال الراغب: ضرب من الاحتيال [2].

والمكايد: جمع مكيدة، مِن كاده يكيده كيدا ومكيدة ومكايدة، وهي: المكر والخبث والخديعة والحيلة، كلها معان مترادفات، ومنه قوله ﷻ: ﴿ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾ [طه ٦٠] وقوله ﷻ: ﴿ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾ [يوسف ٥]. أي: فيحتالوا لك احتيالا[3].

وقيل: الكيد: المضرة.

والمكر: إخفاء الكيد وإيصال المضرة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال ٣٠] وأيا كان الأمر فإن المضرة حاصلة سواء كانت مباشرة أو بواسطة، أو سرا أو علنا جهارا.

فالمراد من مكايد الشيطان هي: مكره وخبثه وخديعته وحيلته وحبائله.

وهي أنواع وألوان وأشكال، تختلف باختلاف حالها من شخص إلى شخص، حسب المستوى الإيماني قوة وضعفا، وعلى قدر قرب الناس أوبُعْدِهم من ربهم، وعلى قدر إدراكهم لخطر هذه المكايد:

---

(١) معجم مقاييس اللغة (ك ي د).

(٢) مفردات الراغب (٧٢٨).

(٣) معاني القرآن للنحاس جـ٣/٣٩٨، ومفردات الراغب (٧٢٨) والصحاح جـ٢/٥٣٣، وتاج العروس جـ٢/٤٨٩، واللسان (كيد).

الفصل الأول: دراسة الآيات الواردة في مكايد الشيطان: وتحته اثنا عشر مبحثا:

المبحث الأول: مكيدة: "تزيين الباطل":

إن المتذوق المتأمل في المعاني التي تضمنت قول الله ﷻ على لسان إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر ٣٩]. يدرك أنّ أخطر سلاح يستعمله عدو الله إبليس لإغواء الناس، هو تزيين الباطل وتحسين القبيح وتحويله إلى صورة مغرية، حتى يكون العاصي على صفة لا تجدي معه النصائح، لأن الشيطان قد استولى على عقله وسلب منه التمييز، وزين له ما فيه مضرته حتى يخيّل إليه أنه فيه نفعه، كمن يظهر له الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل، وفي طليعة ذلك ما تضمنه قوله الله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ .[فاطر ٨].

وفي قول الله ﷻ: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ .[النحل ٦٣].

فإذا زُين للإنسان الباطل ورآه حسنا فإنه يندفع بقواه لتحقيق ما يراه حقا وإن كان فيه هلاكه، ومصداق هذا، قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد ٢٥- ٢٦]

وقال عن عاد وثمود وقارون وفرعون وهامان حيث كانوا عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ

وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴾ [العنكبوت ٣٨- ٣٩].

والهداية والضلالة طريقان واضحان متغايران مفترقان، فلا يستوي من كان على يقين من ربه كمن زين له سوء عمله، ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴾ [محمد ١٤].

وإنّ من جملة ما حسنه الشيطان ما أوقع الناس فى الأهواء المختلفة والآراء المتشعبة، فزين لهم قطيعة الأرحام والكفر والعصيان وغفلهم عن قول الله: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾ [محمد ٢٢].

وزين للمبطلين الفواحش ما ظهر منها وما بطن فيرون فيها لذتهم ومتعتهم، والتقول على الله: ﴿ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ [الأعراف ٢٨] وغفلهم عن قول الله: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف ٢٨] وعن قول الله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف ٣٣].

وزين لأهل الشرك التقليد وعبادة الأصنام والأوثان، فأصبحوا يرونه أسوة حسنة ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر ٣] وغفلهم عن قول الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الزمر ٣، ٤].

وزين لأهل البدع الضلالات ولَبّسَ عليهم دينهم فاعتقدوها من الدين وغفلتهم

عن قول الله: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ [الشورى ١٣].

وزين للسحرة والكهان إضلال الناس فاتخذوه وسيلة لجلب القوت فسلكوا بهم سبل الضلال وغفلهم عن قول الله: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [(١)].

وللشيطان في تزيين الباطل وتحسين القبيح طرق وأعوان، وفي هذا المعنى يقول الله ﷻ: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف ٣٧].

وإنّ من أكبر أعوانه وحبائله ومصايده النساء، وقد رئي الرجل القوي الحازم ذو اللب يضعف أمام المرأة، فقد يحمله ذلك على ارتكاب ما حرم الله، وفى الحديث يقول صلى الله عليه وسلم: "النساء حِبالة الشيطان" [(٢)].

لذا كان خروج المرأة متعطرة متبرجة متزينة لتفتن الرجال من مكايد الشيطان وتسويله، يقول ﷺ: "إنّ المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإنّ ذلك يرد ما في نفسه" [(٣)] وفي رواية: "فإن معها مثل الذي معها" [(٤)].

وقال ﷺ للنساء: "إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيبا" [(٥)] وعن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إذا استعطرت المرأة فمرت على قوم لِيَجدوا ريحها فهي كذا

---

(١) سورة الكهف (١٠٣، ١٠٤)، وانظر عالم الجن والشياطين للأشقر (٦٩).

(٢) الحبالة - بالكسر- وهي مايصاد بها من أي شيء كان النهاية (١/٣٣٣). والأثر ذكر الواقدي أن النبي ﷺ قاله في خطبته حين رجوعه من تبوك.المغازي جـ٣/١٠١٦.

(٣) أخرجه مسلم جـ٢/١٠٢١.

(٤) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب جـ٤/٣٢٢.

(٥) أخرجه مسلم جـ١/٣٢٨.

وكذا" قال قولا شديدا، وفي رواية قال رسول الله ﷺ: "لا تقبل صلاة لامرأة تطيبت لهذا المسجد حتى ترجع فتغتسل غسلها من الجنابة" (١).

وعن أبي صالح قال: سمعت أن الشيطان قال للمرأة: أنت نصف جندي وأنت سهمي الذي أرمي به فلا أخطئ، وأنت موضع سري، وأنت رسولي في حاجتي (٢).

ولذا وُجّه النهي الشديد للنساء عن شد انتباه الرجال بأي وسيلة كان، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ..﴾ [النور ٣١].

وقد شبه النبي ﷺ الشيطان حين تربصه لبعض أخطاء الإنسان ليوقعه في شِباكه وحبائله، بالذئب الذي يتصيد الغنم ويحتال في إهلاكها، فقال ﷺ: "إنّ الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية والناحية، فإياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد" (٣). لذا كان الشذوذ عن جماعة المسلمين مدخلا من مداخل الشيطان الخفية التي لا يدرك الإنسان عواقبها.

وبعد فليدرك الناس حقيقة عداوة إبليس فيتخذوه عدوا، وليعلموا أنه لا يفتر ولا ينام فيقاوموه على الدوام كما هو يعاديهم على الدوام؛ قال رجل للحسن البصري: أينام إبليس؟، قال: لو نام لوجدنا راحة (٤).

فكل باطل مزين أو شر محسن يرتكبه الإنسان إلا وعليه مسحة من الشيطان تُزيِّنه وتظهره على غير حقيقته، وكلما وجد الناس من نفوسهم شهوة باطلة فإنما هي من

---

(١) سنن أبي داود جـ٤/٧٩.

(٢) تلبيس إبليس (٣٠).

(٣) أخرجه أحمد جـ٥/٢٣٢، قال الألباني: ذكره المنذري في الترغيب والترهيب وهو ضعيف. ضعيف الجامع (٢١٣).

(٤) إغاثة اللهفان (١١٩)، تلبيس إبليس (٣٦).وانظر أحكام القرطبي جـ١٠/٢٧، ابن كثير جـ٢/٥٥١، فتح القدير جـ٣/١٣١، روح المعاني جـ٥/٤٩.

الشيطان، وقد زين للنساء التبرج والسفور فيرونه أناقة وتحضرا، وزين اتخاذ الأخدان مقام تعدد الزوجات، وزين الدعوة إلى الاشتراكية بزعم أنها تخلص الناس من الجوع والحيرة والضياع، وزين التعامل بالربا لقصد التوفير والربح إلى غير ذلك من المخالفات.

وما نسمعه اليوم من هتافات جوفاء وكلمات براقة وعبارات منمقة على مختلف الأصعدة والأشكال، مثل النداء بحقوق الإنسان بغرض اللمز والغمز ببعض الدول التي- بتوفيق الله- تطبق شرع الله تعالى في مجتمعها [1] بقصد تشويه صورة هذه البلدان بتشويه صورة الإسلام والمسلمين وذلك برميهم بألقاب نابية وكلمات شنيعة لغرض صد الناس عن الإسلام إنّ ربك بالمرصاد، كل هذا وذاك امتداد لتزيين الشيطان للباطل.

المبحث الثاني: مكيدة "تسمية الأشياء بغير اسمها":

إنّ الشهوات البشرية الرخيصة من أوسع مداخل الشيطان، فهو بوسوسته وتلبيسه يتلمس وينتهز بعض شهوات الناس ورغباتهم النفسية، فيغريهم بأسماء محببة للنفوس ليلبس عليهم دينهم، فيخدع الإنسان نفسه ويغالط حسه فيرتكب المخالفات كتحليل ما حرم الله وإسقاط ما فرضه، ومخالفة أوامره ونواهيه، متأولا استحلالها، كما حكى الله ﷻ عن الأبوين: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ .[الأعراف ٢٠].

أدرك الشيطان أن آدم عليه السلام بحكم جبلته يحب الخلود ومُلْكاً غير محدود، فخدعه بتسمية الشجرة التي منع منها بشجرة الخلد، ليحمله على المخالفة الإلهية، فانساق آدم

(١) مثل بلاد الحرمين الشريفين حرسها الله ووفقها حيث اختارت منذ بداية قيامها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ منهجا وسلوكا.

عليه السلام وراء إغراءات الشيطان وتلبيسه: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ .[طه ١٢٠] إما متأولا أمر الله من غير قصد المعصية، أو ناسيا تحذير الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [طه ١١٥] وقد سمَّى الله تعالى هذه النصائح الشيطانية غرورا وخداعا، فقال: ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ.. ﴾ [الأعراف ٢٢] (١).

ومن هذا القبيل استحلال محارم الله بالحيل والتأويلات الفاسدة، قال رسول الله ﷺ: "ليشربن ناس من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها، يعزف على رؤوسهم بالمعازف والقينات، يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير"(٢).

وقد صدق الصادق المصدوق ﷺ فقد وجد من أتباع الشيطان وأعوانه من ينفذ مكايده وحيله، فيسمي الأشياء المحرمة بغير اسمها ليستميل عقول الضعفاء إلى استحلال ما حرم الله، فيسمون مثلا الرشوة بالهدية، والرقص والغناء: بالفن والموهبة، والزندقة والضلال بحرية الرأي والتنوير، وينادون بحرية المرأة وحقوقها بغرض التحلل من قيود شرع الله، والخمر بأم الأفراح أو عصير العنب أو النبيذ المسكن، والربا: بالربح أو التوفير، والميسر: بمرابحة مالية، والصور والتماثيل: على أنها شَارات الفخر والاعتزاز إلى غير ذلك، ولا شك أن هذا من تسويل الشيطان واستحواذه، ومن تلاعبه بأفكار وعقول من ينقاد له، ليستدرجهم لتحليل ما حرم الله(٣).

---

(١) فتح القدير جـ٢/١٩٥.

(٢) أصل هذا الحديث في البخاري قال: باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه وفيه: (ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف) الحِرَ: هو الفرج جـ١٠/٥١، وأخرجه أبو داود جـ٣/٣٢٩، وابن ماجه جـ٢/٢٥٦، ٣٨٥، وانظر صحيح الجامع الصغير جـ٥/١٠٥.

(٣) إغاثة اللهفان جـ١/١٢١، ٣٣٣، ٣٤٤، عالم الجن والشياطين (٧٠).

المبحث الثالث: مكيدة "استحلال المحرمات":

وهي أشكال وألوان، وكل منها أبلغ خطرا وأكبر نكاية وأعظم إثما من أختها، وفي طليعتها:

١- تناول المسكرات:

قال ﷺ: "ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر" (١) وهي أم الخبائث تؤدي إلى الضلال المحقق وإلى نتائج وخيمة وآثار سيئة، وحض الشيطان على تعاطيها أكثر من غيرها، ومِن ثَم جاء التنفير منها في القرآن الكريم بصورة ظاهرة بالغة وعلى سبيل الحصر والقصر لئلا يحتال المرتابون على النصوص، ثم بهذا النداء الجليل والخطاب المفعم بالتشريف والتعظيم، لاستجاشة قلوب المؤمنين وتذكيرهم بمقتضى هذا الإيمان من الالتزام والطاعة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ .[المائدة ٩٠، ٩١].فهي رجس دنسة خبيثة مخبثة لا تستحق الانضمام مع الطيبات ولا تنطبق عليها صفات الطيبات، يقول النبي ﷺ: "لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصِرَها ومُعْتَصِرَهَا وحاملها والمحمولة إليه" (٢) وللبخاري: "ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن.. "الحديث (٣).

وعن أنس ﷺ قال: سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لا يحدثكم به غيري، قال: "من أشراط الساعة: أن يظهر الجهل ويقل العلم ويظهر الزنا وتُشرب

(١) صحيح البخاري جـ١٠/ ٣٠، سنن ابن ماجه جـ٢/ ٣٨٨.

(٢) سنن أبي داود جـ٣/ ٣٢٦، وذكره ابن كثير جـ٢/ ٩٤، وصححه الألباني. صحيح الجامع جـ٥/ ١٩.

(٣) صحيح البخاري جـ١٠/ ٣٠، سنن ابن ماجه جـ٢/ ٣٨٨.

الخمر... " الحديث [1].

وعن جابر ﷺ قال: قال النبي ﷺ: "كل مسكر حرام، إنّ على الله عز وجل عهدا لمن يشرب المسكر، أن يسقيه من طينة الخَبَال" قالوا: يا رسول الله!، وما طينة الخبال؟، قال: "عرق أهل النار، أو عصارة أهل النار" [2].

ومن خلال القصة التالية نقف على عظيم خطر الخمر على الإنسان وعلى خطر خاتمته، فعن عثمان ﷺ قال: اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث، إنه كان رجل ممن كان قبلكم تعبّد فعلِقَتْه امرأة غوية، فأرسلت إليه جاريتها، فقالت له: إنا ندعوك للشهادة، فانطلق مع جاريتها، فطفقت كلما دخل بابا أغلقته دونه، حتى أفضى إلى امرأة وضيئة - أي: جميلة- عندها غلام وباطية خمر - أي: إناء خمر - فقالت: إني والله ما دعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتقع عليّ أو تشرب من هذه الخمرة كأسا أو تقتل هذا الغلام، قال: فاسقني من هذا الخمر كأسا، فسقته كأسا، قال: زيدوني، فلم يَرِمْ حتى وقع عليها وقتل النفس، فاجتنبوا الخمر فإنها والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر" [3].

وقد شهد الواقع أن الخمر تثير الأعصاب وتهيج النزغات والنزوات وتفقد العقل، وإذا فقد الإنسان عقله الذي ميزه الله به، ارتكب الموبقات وآذى عباد الله، وقد رؤي- متعاطيها- ممن قد بلغ أشده وكمل عقله وتم رشده يتصرف تصرفات المجانين، يفترش الطريق، ويضحك منه الكبار والصغار، فلو قيل له بعد فواقه فلا يكاد يصدق، ولذا من أضل مسلما بشرب الخمر كان أيضا محل تتويج جند الشيطان.

وما حذرنا الله منها إلا لعظيم خطرها على الفرد والمجتمع فى العاجل والآجل اقتصاديا واجتماعيا، كما قال ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ

(١) صحيح البخاري جـ١٠/٣٠.

(٢) صحيح مسلم جـ٣/١٥٨٧.

(٣) سنن النسائي جـ٨/٣١٥، وذكره ابن كثير في تفسيره وقال: إسناده صحيح جـ٢/٩٧.

﴿كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة ٢١٩] ناهيك أنها مصدر الضغائن والأحقاد بين الناس، تمهد الطريق إلى ما بعدها من الآثام والمعاصي من الميسر والأنصاب والأزلام [١].

٢- الميسر:

الميسر: هو اللعب بالقداح، وأما الياسر: فهو اللاعب بالقداح، وخطورته وغيبوبته لا تقل عن الخمر عند المقامرين، فعالم المقامرين كعالم السكارى في إضاعة الوقت والمال وزرع الضغائن والأحقاد فقد يبلغ بالرجل يقامر على أهله، ولا بد أن يحقد المقمور المقهور على قامره الذي استولى على ممتلكاته على مرأى منه ويذهب به غانما غالبا، لذا كان العطف بها على الخمر: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ....﴾ والتنفير عنها مماثلا مساويا مشاركا في الإثم والضرر وفي الحكم والحرمة، سواء على الفرد أو المجتمع والشفاء منه عسير، إنّ أمرا كهذا طبيعي أن يزرع العداوة والبغضاء مهما اجتمع القرناء على أنها في نظرهم مواطن سعادة وأنس لهم [٢].

وإنّ مما يدل على عِظَم قبحه، تفسير مالك بن أنس لقوله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس ٣٢] قال: اللعب بالشطرنج والنرد من الضلال [٣].

وقال: الميسر ميسران: ميسر اللهو، وميسر القمار؛ فمِن ميسر اللهو: النرد والشطرنج والملاهي كلها [٤].

وعن عليّ وابن عباس رضي الله عنهم ومجاهد وغيرهم: كل شيء فيه قمار من

---

(١) تلبيس إبليس (٣٠).

(٢) أحكام القرطبي جـ٣/٥٢، وابن كثير جـ٢/٩١.

(٣) أحكام القرطبي جـ٨/٣٣٧.

(٤) أحكام القرطبي جـ٣/٥٢، وابن كثير جـ٢/٩١.

نرد وشطرنج فهو ميسر [1].

أما حديثا فقد اخترع الناس أنواعا كثيرة مبتكرة مطورة، ومجسمات على أشكال حيوانات يلعب بها.

٣- الأنصاب:

الأصنام: ما صُور وعُبد من دون الله، والأنصاب: حجارة لم تصور كان ينصبها الكفار للعبادة ويذبحون عندها [2] فبينهما عموم وخصوص وَلَطَالما وُجِدَ فيهما اسم العبادة ومعنى الإثم فلا فرق بينهما.

لقد فطر الله الناس منذ الخلق على التوحيد دين الفطرة، لم يعرفوا الأصنام والأوثان والأنصاب، فزين لهم الشيطان بوسوسته وحولهم عن الهدى، بأنها تذكر بالصالحين السالفين، فنصبوها عند الكعبة وعبدوها، قال ﷻ ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ...﴾ [الأنعام ١٢٨٩ أي: أضللتم كثيرا منهم بتزيين الباطل والضلال لهم [3].

وقد تلازمها شياطين فتخاطب عُبّادَها، ليعتقدوا فيها قضاء الحوائج وجلب الرزق والخير والنفع ودفع الشر والضر، فيستنصروا بها فى الحروب وتفريج الكروب إلى غير ذلك [4].

ولا زال الشيطان يزين عبادتها للناس بتعظيمها، فبعضهم نصبها على شكل قباب على قبور الصالحين فكانت وسيلة للشرك ونشر الضلال والدعاء لغير الله، وبعضهم وضعها على شكل تماثيل ومجسمات في الطرقات أو نوادي الرياضة أو البيوت، وإما

---

(١) أحكام القرطبي جـ٣/٥٢، وابن كثير جـ٢/٩١.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (٨٠٧).

(٣) انظر تفسير ابن كثير جـ٢/١٧٦.

(٤) أحكام القرطبي جـ٦/٥٧، ٢٨٦، روح المعاني جـ٣/٥٨، ١٥، في ظلال جـ٢/٨٤٠.

على شكل جندي مقاتل، أو مخترع بارع، أو مستكشف لحقيقة غامضة، أو رياضي ماهر، رمزا للتقدم والتقديس، وعرفانا بما قدموا - في نظرهم- من أسباب السعادة والتقدم والرقي، فكل هذا من قبيل الأنصاب.

٤- الأزلام:

كان أهل الجاهلية إذا قصدوا أمرا ضربوا ثلاثة أقداح، كتب على أحدها: أمرني ربي، وعلى الثاني: نهاني ربي، وأبقوا الثالث مهملا، فإن خرج الآمر مضوا لحاجتهم، وإن خرج الناهي تجنبوا، وإن خرج المهمل أعادوا الضرب، كما أنهم كانوا يستقسمون بها الرزق وغير ذلك [(١)].

والأزلام لا تعلم الغيب ولا تعرف موطن الخير ومخازنه، واستشارتها خلل في العقل وقصور في الفهم وافتراء على الله إن أريد بـ[ربي] - الله جل وعلا- وشركا إن أريد به الصنم، وحُرْمَتُها ناشئة من سوء الاعتقاد، والاعتماد عليها دال على فساد الاعتقاد ولا تخلو من تشاؤم، لذا كان العطف مُعْلِماً بحرمتها، قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة ٣] أي: وحرم عليكم الاستقسام بالأزلام.

ولهذا صار استعلام الخير والشر والضر والنفع من المنجمين والكهان، وتعاطي التنجيم والرمل والخط والزجر والطِيرة والتشاؤم مِن تسويل الشيطان ومن أفعال الجاهلية ممنوعا حراما بلا شبهة، كما نص عليه القرآن الكريم، بقوله: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن

(١) وكان يتخذها كل إنسان لنفسه ويجعلها في خريطة معه، ويستشير بها عند الحاجة، ومنها ما وضع داخل الكعبة، يتولى أمرها سيد القوم وكبيرهم، وهي ثلاثة في قول وسبعة في قول، وهي قداح الميسر وهي عشرة في قول، أحكام القرطبي جـ٦/ ٥٨، روح المعاني جـ٢/ ٥٨.

فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [النمل ٦٥] وقال ﷻ ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام ٥٩].

ولذا كان تنفير النفوس واقعا في أبلغ صوره لكمال شناعتها، فسيقت مساق المستقذرات من الأشياء التي تعافها النفوس وتستهجنها الطبائع وتتجنبها، فقال سبحانه: ﴿ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾ وقال: ﴿ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ [المائدة ٣] أي: خارج عن طاعة الله.

وفي مقابل ذلك ربط الله فلاح العبد في عاجل أمره وآجله بالاجتناب عنها كليا، فقال: ﴿ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١).

وفي آخر الموعظة الربانية يكشف الله للمسلم عن الغاية المؤلمة والهدف السيء والكيد الماكر الذي يسعى من أجله الشيطان ويبذل قصارى جهده بتزيينه هذه المستقذرات، فيقول سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (٢).

ولكن بعض الناس قد سحر الشيطان عقله ولبّس عليه أمره فهو لم ينته بعد فأخذ يركض وراء التخيلات، ليستعلم الخير والشر والضر والنفع من المنجمين والكهان، ويستكشف عما قدر الله له في الأزل عن طريق الأبراج الفلكية التي استحدثت في

---

(١) و نجد التعبير القرآني هنا دقيقا أيما دقة، فإنه عبر بـ (الرجس) وأطلق هذه الكلمة على سائر المذكورات ليشملها كل معاني النفور والاجتناب، والتقزز والتقذر منها، فقد ذكر العلماء أن معنى الرجس: السخط ويطلق على النتن والعذرة والأقذار، وعلى كل ما تعافه النفوس وتتجب عنه العقول، وعن الزجاج الرجس: كل ما استقذر من عمل قبيح. أحكام القرطبي جـ٦/٢٨٧، روح المعاني جـ٣/١٥.

(٢) أحكام القرطبي جـ٦/٥٨، ابن كثير جـ٢/١١، روح المعاني جـ٢/٥٨، في ظلال جـ٢/٨٤١.

أعقاب الزمان في بعض المجلات، فهذا كله من الكهانة ويحرم تصديقه.

وقد أبدلنا الله تعالى باستخارته عز وجل الذي بيده مفاتح الخير وخواتمه وجوامعه، ويعلم ما ينفع العبد وما يضره، إنه بعباده خبير بصير.

٥- من المحرمات: السحر:

إنّ السحر طريق إلى الشرك والساحر مشرك، وهو من الباطل الذي زينه الشيطان واستدرج بعض الإنس إليه، تعاطي السحر في مختلف صوره وأشكاله، سواء ما كان منه بالأوراد والعزائم المحتوية على الاستعانة بالجن فيما يريدونه من الإضرار بالناس، أو بعقد الخيوط والنفث عليها، أو بدفن السحر في الأرض، أو بتدخين البخور والسقي، أو بأي عمل تحصل به المضرة

ومن الناس مَن أنكر السحر، ومذهب أهل السنة أن السحر ثابت وله حقيقة، فقد ثبت أن النبي ﷺ سُحر وسحره يهودي يقال له: لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يُخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله [(١)].

وقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز حقيقة السحرة والسحر وما يترتب عليه من مضار حسية ومعنوية، ومِن ثَم حَكَم القرآن الكريم على الساحر والسحر وتعلمه واستخدامه بالكفر، لأنه محض شر وأذى، قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة ١٠٢].

---

(١) صحيح البخاري جـ١٠/٢٢١.

وكان تحريض الشيطان على تعلمه وتعاطيه أشد من غيره، لأنه جاء مقرونا بالشرك فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "اجتنبوا الموبقات: الشرك بالله والسحر" (١) فهو سبب في نشوب العداوات بين الناس، والتفريق بين المرء وزوجه وبين الإخوة والأبناء، والعشيرة والأصدقاء، والتفريق بين الزوجين في نظر الشيطان من أعظم الأعمال وأجلّها، فقد ذكر ابن الجوزي عن جابر ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "إنّ إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئا، قال ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال فيدنيه منه فيلتزمه، ويقول: أنت (٢).

ولعظيم جرم الساحر فقد أمر الشارع بقتله، لإنقاذ الناس من شره، وردعا للآخرين، ذلك لأنه يصعب من الساحر صدور التوبة، لأن قرين السوء قد زين له السحر، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف ٣٦] أي: يتعامى ويتغافل ويعرض (٣).

وقد استجاب للشيطان بعض من خذله الله وأذله، فهو يجتهد في تعلمه ليستدرج ضعفاء الناس إليه لسلب أموالهم متجاهلا نتيجة تعلم السحر وعاقبة الساحر فى الدنيا والآخرة هو الخسران المبين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾.

إنها أمور يستطيع المسلمون رؤيتها في واقع أمرهم وحالهم، ولا يحتاج الأمر إلى بحث أو استدلال، أو ينتظروا وقوع العداوة منه حتى يصدقوا، لا سيما بعد تصديق الله

(١) صحيح البخاري جـ١٠/٢٣٢.

(٢) تلبيس إبليس (٢٤)، والحديث أخرجه مسلم جـ٤/٢١٦٧، وابن الجوزي هو: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن عليّ القرشي البغدادي علامة عصره في التأريخ والحديث ت (٥٩٧) الأعلام جـ٣/٣١٦.

(٣) انظر أحكام القرطبي جـ٢/٤٧، ابن كثير جـ١/١٤٧، ٤/١٢٨، روح المعاني جـ١/٣٣٩.

لها بقوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾.

ولكن الشيطان بمكايده يؤز الناس إلى ما فيه هلاكهم، ويُنسيهم ويصدهم عما فيه خيرهم وصلاحهم، فزين لهم الاتكال على غير الله وأنساهم طلب العون والمدد من الله والرجاء والتوكل عليه.

المبحث الرابع مكيدة: إنساؤه للإنسان ما فيه الخير والصلاح:

وذلك بوسوسته المتتابعة للإنسان حتى يُنسّيه ما فيه خيره وصلاحه سواء في الدنيا أوفي الآخرة، فإذا لم ينقد لوساوسه عند ذلك يسأله فيذكّره بأشياء قد نسيها ليصده عن ذكره الله، كما جاء الحديث يقول صلى الله عليه وسلم: "فإذا قُضِي التثويب أقبل حتى يَخطِرَ بين المرء ونفسه يقول: اذكر كذا وكذا - ما لم يكن يذكر- حتى يظل الرجل إنْ يدري كم صلى..... "[1].

وما زال يوسوس لأبي البشر آدم عليه السلام حتى أنساه عهد الله فأكل من الشجرة التي نهي عنها قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [طه ١١٥] وبهذا فوت عليه مصلحة دينية ودنيوية عظيمة.

وما زال يحرش بين الناس ويوسوس لهم ليفوت عليهم الخير الكثير ويضيع عليهم الفرصة الثمينة، فأشغلهم عن ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: خرج علينا النبي ﷺ ليُخبرنا بليلة القدر، فتلاحى - أي: تخاصم وتشاتم- رجلان من المسلمين، فقال: "خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت... " ولمسلم: "فجاء رجلان يحتقان معهما شيطان فَنُسِّيتُها.. " وفي رواية: "أريت ليلة القدر ثم أيقظني بعض أهلي، فنُسِّيتُها.. "[2]. ذلك لأن النزاع طريق الفشل، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال ٤٦].

---

(١) صحيح البخاري جـ٣/١٠٣.

(٢) صحيح البخاري جـ٤/٢٦٧، وصحيح مسلم جـ٢/٨٢٤، ٨٢٧.

وما يزال يحلي مجالس الباطل مستوليا على عقل الإنسان وقلبه وحواسه حتى يُغْفله ويُنَسِّيه أمر الله، ويزين له المجالسة مستعينا بإخوانه من أهل الباطل والأهواء والزيغ الذين يُحَلِّقُون في أجواء الخيالات الفاسدة، ويخوضون فيما لا يعنيهم، ويتدخلون فيما لم يطلب منهم إعراضا عن الله وعن آياته، قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ .[الأنعام ٦٨].

والمؤمن منهي عن المجالس التي يُطلب فيها المتشابه من آيات الله وسنة رسول الله ﷺ والخوض فيها أو يُستهزأ بها أو يقتبس منهما للتنكيت أو تُذكَرُ على سبيل المزاح، أو مجالس الفسق والغيبة والنميمة أو مذاكرة الفواحش، وأمر المسلم بالإعراض عنها إعراضَ منكِرٍ، لينزجروا فيتركوا الخوض والاستهزاء، ومن وقّر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام.

فدل على أن من لا ينتصح فليُعرض عنه إعراضَ منكِر حتى لا يلحقه الوعيد الذي جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ [النساء ١٤٠] أي: إذا شاركتموهم ورضيتم بما هم عليه [(١)].

وقد ذُهِل يوسف عليه السلام الذي سجن ظلما، فأنساه الشيطان طلب العون من الله بمقتضى مقام النبوة- في قول- فذكر كحال البشر مظلمته للبشر، فقال للذي ظن أنه ناجٍ اذكرني عند ربك ليكون ذلك سببا لانتباهه على ما أوقعه من الظلم بعد ما دل على براءته عليه السلام، فقال الشرابي أفعل، فأنساه الشيطان بمقتضى الجبلة البشرية - في قول-

(١) عن الفضيل بن عياض: من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه. أحكام القرطبي جـ١٢/٧، ١٣.وانظر: ضعيف الجامع للألباني (٨٤٨).

ذِكْر إخباره بما أمره به يوسف عليه السلام مع خلوصه من السجن بإلقاء أشغال في قلبه فلم يبلغ سيده، وفي كلا الحالين لَحِق يوسف عليه السلام ضرر عظيم بسبب هذا النسيان، قال عز وجل: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ .[يوسف ٤٢].

فَفَوّت الشيطان على هذا النبي أولا مصلحة دينية عظيمة، حيث وسوس إليه أن يستعين بغير الله في تفريج الكربة ومقام النبوة يتنافى مع هذا، وفَوّت عليه ثانيا مصلحة دنيوية حيث مكث عليه السلام في السجن مدة مضاعفة ليكون درسا له، وكان هذا من جملة مكايد الشيطان [1].

وخرج موسى عليه السلام مسافرا واصطحب معه فتاه لطلب العلم، وحمل معه حوتا مملحا، وقيل له: متى فقدت الحوت فهناك المقصود...، فسقط الحوت فى البحر وجعل يسير، قال عز وجل: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ [الكهف ٦١].

فاستيقظ موسى عليه السلام وقد أشغل الشيطان بوسوسته فكر الفتى فلم يخبر موسى عليه السلام عما جرى للحوت، وتجاوزا المكان المقصود، فسبب لهما الشيطان إزعاجا وكلفهما مشقة السفر أكثر من المطلوب وأرهقهما دون فائدة كما قال تعالى حكاية عنهما: ﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ .[الكهف ٦٣].

---

(١).انظر تفسير الطبري جـ١٢/٢٢١- ٢٢٣، أحكام القرطبي جـ٩/١٩٥- ١٩٧، روح المعاني جـ٤/٢٤٧، فتح القدير جـ٣/٢٩.

وما زال يوسوس لأوليائه ويُلهيهم عن حقوق الله وواجباته حتى غلب واستولى عليهم وتمكن من عقولهم وحواسهم فانقادوا له وصاروا من أنصاره وأعوانه، فأنساهم أوامر الله وزواجره ونواهيه، فلم يراعوه حق رعايته، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ [الزمر ٦٧].

ثم وعدهم ومنّاهُم المغفرة والفرج والفوز بالجنة مع ما أنساهم حقوق أنفسهم فلم يعملوا لخلاصها، ولم يدخروا لها زادا للحياة الأبدية، فكان الجزاء من جنس العمل: ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [الحشر ١٩].وسبيل التّذَكُرِ هو ذكر الله الذي يطرد الشيطان: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف ٢٤] ومِن ثم فوتوا على أنفسهم النعيم المقيم، كما قال ﷻ: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ .[المجادلة ١٩] فلا تصيروا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم [1].

المبحث الخامس مكيدة: الوعد والتمنية:

إنّ المغبون المخدوع حقا من يسير خلف وعود الشيطان وأمانيه الباطلة الناشئة عن تسويله ووسوسته التي هي محض ضلال وشر قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء ١٢٠] يعد أولياءه بأنهم هم الفائزون في الدنيا والآخرة، ويلهيهم عن إحداث التوبة، ويزين لهم التسويف بالأعمال الصالحة، وقد بين الله في كتابه بأن أماني الشيطان ضلال محض، قال تعالى: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ ...﴾ [النساء ١١٩].

وبين أن الاعتماد عليها من عبادة الشيطان الذي يأمر بمخالفة أمر الله تعالى، وقد قرن الله بين الشيطان وبين عبادة الأصنام في قوله: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا

(١) أحكام القرطبي جـ١٧/٣٠٥، ابن كثير جـ٤/٣٢٨، روح المعاني جـ١٠/٣٤.

بَعِيدًا ﴿١١٧﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٨﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ....﴾ [النساء ١١٦- ١١٨].

وإن الشيطان بغروره وخداعه يستدرج الإنسان ويمنيه النجاة من عاقبة عمله، ويشجعه بنصرته إياه، ثم يخذله ويتخلى عنه وقد أورده موارد الهلاك المحقق، لا ريب أنها حالة استهواء من إبليس يزين فيها للإنسان سوء عمله فيراه حسنا، ويَعِدُه الكسب والسعادة في طريق المعصية وقد سماه الله غرورا ! فقال ﷻ: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾.

فمن يسير خلف وعود الشيطان وأمانيه فإن خسارته محققة لا محالة، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾.

كما مَنّى كفار قريش يوم بدر النصرة ووعدهم الإجارة حتى أوقعهم في الهلاك، قال الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ .[الأنفال ٤٨].

ويَمَنّي الكفرة أصحاب الغنى بالثروة والمال فى الآخرة مثل ما كانوا في الدنيا لينسيهم حظهم من الآخرة، فيقول قائلهم: ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ .[الكهف ٣٦].ويكون فيه حتفه، وإذا به يلقى مصيره على خلاف ما كان يتصور، فيدمر الله جنته فى الدنيا فيعلم أنه كان مغرورا مخدوعا، لأنه عاش فى الدنيا على أماني إبليس وآماله السرابية ونصائحه الخائنة ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان ٢٩]

وهكذا يمني المقصر المتواني بمغفرة الله دون أن يسلك مسالك المغفرة أو يتعرض

لرحمة الله، وفي مقابل ذلك يصده عن العمل الجاد المثمر الذي فيه فلاحه في الدنيا والآخرة: ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الزخرف ٦٢] ويزين له التخيلات والأماني، ومصداق هذا ما جاء على لسان المصطفى ﷺ: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني"[(١)].

المبحث السادس مكيدة: إظهار النصح للإنسان:

إنّ الشيطان بأمانيه الكاذبة وآماله الزائفة يُنسي الإنسان عداوته ويصور نفسه من الناصحين النافعين، ولقد جُبِلَ الإنسان بفطرته على جلب المصلحة والانقياد لمن يناصحه، فظهر الشيطان لآدم عليه السلام في شكل الناصح الأمين الحريص على المصلحة وأنساه عداوته التي حذره الله منها بقوله: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه ١١٧] وبقوله: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يس ٦٠] ولسان حاله يقول: الناصحون لكما كثير وأنا واحد منهم فلا يفوتنكم مني نصح ونفع.

فلا عجب من آدم عليه السلام أن يكون حريصا على جلب المصلحة، حفيا لمن يقدم له النفع والنصح، قال الله تعالى: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ... ﴾ [الأعراف ٢١][(٢)]. والحقيقة كان هذا كيدا ومكرا من الشيطان.

قال مطرف وقتادة: قال لهما إني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعاني أرشدكما وحلف لهما، والمؤمن غِرٌّ كريم يخدع ولا سيما يُخْدَعُ بالله، والفاجر خب لئيم، وما كان لآدم عليه السلام أن يصدقه إلا أنه لما قاسمه بالكذب، وما كان يظن أن أحدا يجسر على

(١) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن جـ٧/١٥٥، وابن ماجه جـ٢/٤٤٠.ومعنى دان نفسه: أي يحاسب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة.

(٢) انظر إغاثة اللهفان (١٢٢، ١٢٩).

الحلف بالله كاذبا [1].

وإنّ من إظهاره النصح: وعدهُ وتمنيتهُ وتظاهره في صورة المشفق النصوح ثم تخليه وخذلانه بعد إيقاع الإنسان في الخسارة المحققة والمصير السيء، كما فعل بعابد بني إسرائيل المشهور، وقدم له النصائح والإرشادات التي كانت فيها نهايته المؤلمة، منها موته على الكفر والعياذ بالله، كما حكى الله ﷻ عن ذلك بقوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .[الحشر ١٦].

وقد انتصح له بعض الناس بما يحتقرون من بعض المنكرات فيُصِرّون عليها دون إحداث توبة، وهناك قصص ووقائع تبين لنا أساليب الشيطان في إضلال العباد، ما فيها عبرة وعظة لأولى الألباب.

وقد وَرَّث عدو الله هذا المكر لحزبه من أهل البدع والضلال والأهواء، بما يرون من التدين بمستحسنات العقول، والمنافقين بمخادعة الله ورسوله والذين آمنوا، وانقيادهم لنصائح الشيطان وإرشاداته، لينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ [النساء ١١٥].

تلك سنة الله في خلقه إذا عدلوا عن الحق سلط عليهم الشيطان، فأمال قلوبهم وصرفها عن الحق والهدى، وألزمها الشك والحيرة والخذلان لتكون عقوبة إلهية، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ .[الأنعام ١١٠].

ولذا كان رفض الحق بعد وضوحه من آثار تلك النصائح الشيطانية ويكون الجزاء

(١) إغاثة اللهفان (١٢٤)، وابن كثير جـ٢/٢٠٦.

كما أخبر تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [الصف ٥].

وقول بعض ضعفاء المسلمين: ﴿ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ [المائدة ٥٢] من آثار تلك النصائح الشيطانية، فإذا تمادوا وأصروا على هذه المخالفة ولم يراجعوا أنفسهم فتكون النتيجة: ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [المائدة ٥٢].

المبحث السابع مكيدة: تخويف المؤمنين من أوليائه:

وذلك بزرع الخوف ونشر الرعب في صدور الذين لا يحتاطون من وسوسته، وقصده من وراء ذلك ﴿ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ... ﴾ [المجادلة ١٠].

وبتضخيم شأن أوليائه من الكفار والمنافقين وإلباسهم لباس القوة والقدرة، وإيقاعه في النفوس أن لهم الحول والقوة ويملكون الضر والنفع والبطش، كما قال السدّي: يعظم أولياءه في صدوركم فتخافوهم [1]، لقصد تثبيط أهل الإيمان لئلا يجاهدوهم، ولئلا يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، لينتشر الشر والفساد في الأرض.

وما زال في كل زمان ومكان يضخم شأن أتباعه وأوليائه إما لتثبيط أهل الإيمان، أو ليستدرج أولياءه إلى الهلاك المحقق، كما أغرى كفار قريش يوم بدر بمعيته ونُصرته قائلا: ﴿ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ... ﴾ [الأنفال ٤٨] وكما ثبط المسلمين اليوم عن جهاد الكفار ليستدرجهم إلى المخالفة الإلهية وإلى الذل المحقق وأمنهم عن تدبر قول الله تعالى:

---

(١) الطبري جـ٤/١٨٤.

والسدي هو: الإمام إسماعيل بن عبد الرحمن حجازي الأصل سكن الكوفة، صاحب التفسير والمغازي والسير. الأعلام جـ١/٣١٧.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال ٧٣] حتى كان من بعضهم أنه يلتمس فيهم المنعة والعزة ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ....﴾ [المائدة ٥٢].

وما نراه ونشاهده اليوم من انتشار رهبة الكفار في صدور المسلمين وخوفهم منهم أشد الخوف في عقر دارهم مع كثرة عدد المسلمين ووفرة عُدّتهم وامتلاكهم لأساسيات القوة والاقتصاديات، إنما هو امتداد لتلك المكايد الشيطانية، رغم أن الواقع يشهد بخلاف ذلك [1]، فإن الله تعالى يرفع ويعلي من شأن أوليائه ويقلل من شأن أعدائه قال تعالى: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الأنفال ٤٣] وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [الأنفال ١٨] وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [التوبة ٢]

وفي سياق الآية التالية يكشف الله تعالى للمؤمنين حقيقة مكر الشيطان وما يلقيه بوسوسته في قلوبهم من الشبهات واللبس لينضموا إلى حزبه الخاسر فقال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .[آل عمران ١٧٥] فالشيطان وأولياؤه أضعف من أن يُخاف منهم: ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء ٧٦] .

---

(١) مثل انتصار المسلمين على قِلة عَدَدهم وضعف عُدَتهم يوم بدر والأحزاب وفتح مكة وخيبر والطائف وما بعدها من فتح فارس والروم وغيرها من البلدان أصدق دليل على قوة حزب الله ورفعة شأن المسلمين وضعف حزب الشيطان وذلتهم، وصدق الله حيث يقول: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ آل عمران (١٢٦) وقال: ﴿ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ﴾ الروم (٥) وقال: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الروم (٤٧).

ويبين أن حقيقة الخوف منه سبحانه لا من غيره لأن منه النصر والعزة ومنه تُستمد القوة، فيقول: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر ١٠] ويقول: ﴿ وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [البقرة ٤٠] أي احذروا وخافوا مخالفتي في ترك أوامري إن كنتم صادقين فى الإيمان، فكلما قوي إيمان العبد ازداد تعلقه وثقته بربه وزال من قلبه خوف حزب الشيطان، لأنه يوقن أن ربه يحيطه بعنايته وكلائه، وهذه عبادة من العبادات التي أمر المسلم بتحقيقها وصرفها لله تعالى دون سواه قال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل ٥٠] وكلما ضعف إيمانه ازداد خوفه من الشيطان ومن حزبه ولهذا جاء التنبيه من الله مشروطا الإيمان فقال: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران ١٧٥] فلا يتحقق إيمان كامل صحيح إلا بالإيقان الكامل أن النافع والضار هو الله تعالى [(١)].

المبحث الثامن مكيدة: إلقاء الشبهات:

الشُّبْهَة كما ذكر الراغب: هي أن لا يتميز أحد الشيئين من الآخر لما بينهما من التشابه، فلا يُدرى أَحلالٌ هو أم حرام وحق هو أم باطل [(٢)].

وخطر الشبهات على الإنسان بمكان معلوم، إذ أنها تلبس الحق بالباطل، فتوقع المسلم في حيرة من أمر دينه لتزعزع عقيدته وتمهد له طريق المخالفات والمحرمات، لذا جاء الأمر باجتنابها لأنها مُردية مهلكة، فعن النعمان ابن بشير ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "ومن واقع شيئا منها يوشك أن يواقع الحرام...." [(٣)].

وتعد مكيدة إلقاء الشبهات من أفتك المكايد وأخطرها، لأنها مدخل واسع يأتي

---

(١) انظر: تفسير الطبري جـ٤/١٨٣، أحكام القرطبي جـ٧/٢٨٢، ابن كثير جـ١/٤٣٠، إغاثة اللهفان (١١٩)، روح المعاني جـ١/١٢٩، في ظلال القرآن جـ١/٥٢١.

(٢) مفردات الراغب (٤٤٣). والراغب هو: أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني من الأدباء الحكماء ت (٥٠٢ هـ) الأعلام جـ٢/٢٥٥.

(٣) سنن الترمذي جـ٤/٣٩٥، وبمثله البخاري جـ١/١٢٦.

الشيطان من خلاله. ليحمل الإنسان على الوقوع فيها ليحقق من خلالها أمانيه من الانشغال فيما لا يعنيه، وتحويل الدعوة عن أصولها وموازينها، وليقود الناس إلى أمر بالغ الخطورة.

فمن ذلك أنه يوقع بهم في التفكر في ذات الله، كما جاء فى الحديث "يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا ؟، من خلق كذا ؟، حتى يقول من خلق ربك ؟، فإذا بلغه فليستعذ بالله ولِيَنتَه"[1].

ومن جملة ذلك ما يلقيه فى النفوس من الشكوك والشبهات ما أخبرنا الله ﷻ بقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ۝ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .[الحج ٥٢- ٥٤].

وقد تعددت آراء المفسرين حول هذه الآية، والأقرب منها - إن شاء الله - أن معنى قول الله ﷻ : ﴿ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ أي: في حديثه وتلاوته، فأخبر الله أن من سنته في رسله، وسيرته في أنبيائه إذا قالوا عن الله تعالى قولا زاد الشيطان فيه مِن قِبَلِ نفسه كما يفعل ذلك في سائر المخالفات.

والمراد بالتمني المذكور فى الآية كما ذكره البخاري عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ كان إذا حدث نفسه ألقى الشيطان في حديثه على جهة الحيلة [2] ، فيقول مثلا: لو سألت الله أن يغنِّمك ليتسع المسلمون؛ أو يتمنى إيمان الناس جميعا؛ وهذا لا

(١) أخرجه البخاري جـ٦/٣٣٦، وانظر تلبيس إبليس (٣٤).

(٢) صحيح البخاري جـ٨/٤٣٨.

يتم إلا بإرادة الله، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس ٩٩] (١).

أو إذا صفرت يداه من المال ورأى ما بأصحابه من سوء الحال تمنى الدنيا بقلبه لما يوسوسه الشيطان؛ ويعلم الله عز وجل أن الصلاح في غير ذلك؛ فيبطل الله ما يلقي الشيطان بوسواسه في أمنية النبي ﷺ وذلك بتنبيهه إلى الحق وتوجيهه إلى مراد الله، وأما ما قيل فى الآية غير هذا فلا يصح عقلا ولا نقلا، والله أعلم (٢).

﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أي: يأتي الله بالآيات محكمة مثبتة محفوظة لا تقبل الرد بوجه من الوجوه ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت ٤٢] ويعلم بما يوحي إلى نبيه ﷺ، ويعلم ما يصدر من الشيطان وأوليائه من إلقاء الشبهات والشكوك، فيبطل ما يلقى الشيطان من تلك الشبه ويذهب بها بتوفيق الرسول لرده أو بإنزال ما يرده إلى الصواب (٣).

وتكون هذه الزيادة من الشيطان بمثابة عذاب واختبار للكفار والمنافقين الشاكين الذين في قلوبهم مرض: ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ كالمشركين حين فرحوا – على ما

---

(١) سورة يونس (٩٩)، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ...﴾ الأنعام (١٠٧).

(٢) ذكر القرطبي: عن العلماء أنّ هذه الآية مشكلة من وجهين أولا: من جهة تحديد معنى الرسول والنبي، فيرى بعضهم أنه لا يقال نبي حتى يكون مرسلا، والثاني: أن الأحاديث المروية في نزول هذه الآية ليس منها شيء يصح أحكام القرطبي جـ١٢/٠٨، ٨٥، وانظر ابن كثير جـ٣/٢٣٠، روح المعاني جـ٦/١٧٥- ١٨٥، في ظلال جـ٤/٢٤٣١.

(٣) تفسير الطبري جـ١٧/١٩٠، وابن كثير جـ٣/٢٣٠.

قيل- بما ألقى الشيطان على مجتمع الشرك على لحن رسول الله ﷺ: "تلك الغرانيق العلى..." ابتلاء وامتحانا فاعتقدوا أنه من عند الله وإنما كان من الشيطان [1].

وكالكهان والدجالين الذين تُقضى على أيديهم حوائج بعض الناس، قال تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ ﴾ بأنها من عند الله حتى ولو قضيت على يد الكهان ﴿ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .أي: فتخضع وتذل وتخشع وتسكن قلوبهم بما أرشدهم الله إلى الحق واتباعه فى الدنيا، ووفقهم لمخالفة الباطل واجتنابه وبما أرشدهم ببيان طرق إلقاء الشيطان الشبه والشكوك في قلوب الناس التي جاء ذكرها في قول الله على لسان إبليس بقوله: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الأعراف ١٦] [2] حتى يحذروا منها فلا يقعوا في حبائل الشيطان، فإنّ الشيطان يتقصد كلّ طريق مؤد إلى الإسلام أو إلى الخير فيصدهم ويثبطهم ويزين لهم الباطل حتى يهلكوا ويضلوا كما هلك وضل هو ومن تابعه من الأمم السابقة الذين صدوا عن سبيل الله مثله، قال تعالى مبينا حالهم: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ [الأعراف ٨٦].

وإنّ مِن عناية الله تعالى بعباده الضعفاء أن ضيق على الشيطان بعض المنافذ حتى لا يشعر بأنه له سلطان كامل عليهم، وأبطل أكثر محاولاته فلم يمكنه من فوقهم لأنه يعلم أن الله مِن فوقهم، وينزل رحمته عليهم من فوقهم، وهكذا لم يمكنه من تحتهم، حتى لا يغتالهم من تحتهم،.خيب رجاءه في وعيده وتهديده التي توعد بها بقوله: ﴿ ثُمَّ

(١) تفسير ابن كثير جـ٣/٢٢٩.

(٢) انظر أحكام القرطبي جـ١٢/٧٩، ابن كثير جـ٣/٢٣٠، روح المعاني جـ٦/١٧٢.

لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾ [1].

ويبين النبي ﷺ كيفية إتيان الشيطان وقعوده لنصب شَرَك الشبهات والشكوك، فيقول: "إنّ الشيطان قعد لابن آدم بأطرُقِه، فقعد له بطريق الإسلام فقال: أتسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك؟، فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: أتهاجر وتذر أرضك وسماءك، وإنما مثل المهاجر كالفرس في طوله ؟ - أي: في حبله الطويل- فعصاه فهاجر، قال: ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: هو جهد النفس والمال، فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال قال: فعصاه فجاهد، فقال رسول الله ﷺ: فمن فعل ذلك منهم فمات كان حقا على الله تعالى أن يدخله الجنة، أو قتل كان حقا على الله أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابته- أي: سقط عنها فكسرت عنقه- كان حقا على الله أن يدخله الجنة" [2].

ويذكر شقيق كيفية قذف الشيطان للشبهات، وكيفية التحصن والنجاة منها وذلك بتذكر وعد الله ووعيده على ما أعده الله على ذلك، فيقول: ما من صباح إلا قعد لي الشيطان على أربعة مراصد: من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، فيقول: لا تخف فإن الله غفور رحيم، فاقرأ: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴾ [طه ٨٢] وأما من خلفي فيخوفني الضيعة على من أخلفه، فاقرأ: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا ﴾ [هود ٦] ومن قِبل يميني، يأتيني من قِبل

(١) تفسير الطبري جـ٨/١٣٣، إغاثة اللهفان (١١١)، أحكام القرطبي جـ٧/١٧٥، ابن كثير جـ٢/٢٠٤، روح المعاني جـ٣/٩٤.

(٢) أخرجه النسائي جـ٦/٢١، وأحمد جـ٣/٤٨٣، وصححه الألباني صحيح الجامع جـ٢/٧٢، ٧٣، وانظر ابن كثير جـ٢/٢٠٤، روح المعاني جـ٣/٩٤.

النساء، فاقرأ: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف ١٢٨] ومِن قِبل شمالي، فيأتيني من قِبل الشهوات، فاقرأ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ ٥٤] (١).

هناك قصص وحوادث لا سيما لأفضل الناس بعد النبي ﷺ، يتبين لنا من خلالها مدى تأثير الشبه على ابن آدم، حتى تكون عبرة وعظة لنا، نعالج بها أمراض قلوبنا من وسوسة الشيطان كما عالجها أولئك الأخيار الذين لم يسلموا من شبهاته، فكيف بمن بعدهم.

فعن أبي زميل قال: سألت ابن عباس رضى الله عنهما فقلت: ما شيء أجده في صدري ؟، قال: ما هو ؟، قلت: والله ما أتكلم به، قال فقال لي: أشيء من شك ؟، قال: وضحك، قال: ما نجا من ذلك أحد، قال: حتى أنزل الله عز وجل ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٩٤ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [يونس ٩٤- ٩٥] قال فقال لي: إذا وجدت في نفسك شيئا فقل: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ .[الحديد ٣] (٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: جاء ناس من أصحاب رسول الله ﷺ إلى النبي ﷺ فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به !، قال: "أو قد وجدتموه ؟،" قالوا: نعم، قال: "ذلك صريح الإيمان" (٣).

---

(١) انظر إغاثة اللهفان (١١٣).

(٢) سنن أبي داود جـ٤/٣٢٩، ٣٣٠، وانظر مختصر المنذري جـ٨/١١.

(٣) صحيح مسلم جـ١/١١٩.والمعنى: أنّ صريح الإيمان هو الذي يمنعكم من قبول ما يلقيه الشيطان في أنفسكم، والتصديق به، حتى يصير ذلك وسوسة لا يتمكن في قلوبكم ولا تطمئن إليه أنفسكم، وليس المعنى أن الوسوسة نفسها صريح الإيمان وذلك أنها إنما تتولد من فعل الشيطان وتسويله، فكيف يكون إيمانا صريحا ؟.معالم السنن جـ٨/١١.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنّ أحدنا يجد في نفسه، يُعَرِّضُ بالشيء، لأن يكون حُمَمَةً أحبُ إليه من أن يتكلم به، فقال: "الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة"[1].

والأثر الآتي يدلنا على مدى حرص الشيطان على إلقاء الشبهات لابن آدم وعلى عظيم خطرها على إيمان المسلم: فعن أبيّ بن كعب ﷺ قال: كنت فى المسجد، فدخل رجل يصلي، فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر، فقرأ قراءة سِوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله ﷺ فقلت: إنّ هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سِوى قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله ﷺ فقرأ، فحسن النبي ﷺ شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنتُ فى الجاهلية[2]، فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فَرَقًا - خوفا- فقال لي: "يا أبيّ أُرسِل إليّ أن اقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هون على أمتي، فردّ إليّ الثانية اقرأه على حرفين، فرددت إليه أن هون على أمتي، فرد إليّ الثالثة اقرأه على سبعة أحرف، فلك بكل رَدّة رددتُكَهَا مسألة تسألُنِيها، فقلت: اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ الخلق كلهم حتى إبراهيم ﷺ"[3].

وقد وُجِدَ في كل زمان ومكان أعوان للشيطان من أهل الكبر والنفاق والغطرسة

---

(١) صحيح مسلم جـ١/١١٩، .والحممة: الفحمة النهاية جـ١/٤٤٤.

(٢) أي: أعترته حيرة ودهشة، لأن الشيطان نزغ في نفسه تكذيبا لم يعتقده، فوسوس له الشيطان تكذيبا للنبوة أشد مما كان عليه فى الجاهلية، لأنه كان فى الجاهلية غافلا أو متشككا فوسوس له الشيطان بالجزم بالتكذيب، لذا ضربه ﷺ في صدره تثبيتا له حين رآه قد غشيه من ذلك الخاطر المذموم، وهذه نزغة من الشيطان غير مستقرة ثم زالت فى الحال، ومن فضل الله أن العبد لا يؤاخذ بها. شرح صحيح مسلم للنووي جـ٢/٤٦٨.

(٣) صحيح مسلم جـ١/٥٦١.

والطغيان يكيدون للإسلام وأهله، يحاولون إضعافه بإلقاء الشبهات والشكوك في قلوب ضعفاء النفوس ليكون لهم السلطان والأمر والنهي، وما نراه اليوم من وضع العراقيل في طريق الدعوة والصد عن سبيل الله وإثارة الشبهات والشكوك حوله، إنما هو امتداد لمكايد الشيطان وأعوانه التي يمنعون الناس بها عن الخير وأسباب الخير، كما قال تعالى في شأن المنافقين: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون ٢] ولكن الله جل وعلا بفضله وقوته يحق الحق ويبطل كيد الشيطان وأعوانه ، ويصون دعوة أنبيائه ويبين لهم أصولها ويزيل كل شبهة.

المبحث التاسع مكيدة: الزهو والكبر:

إنّ الكبر والزهو من تسويل الشيطان ومن مساوئ أوصافه ومن شهوات النفس الدنيئة ومن الأخلاق الذميمة التي حرمها الإسلام أشد تحريم، فهو من أعظم أسباب الهلاك في الحال والمآل ومن أكبر العوائق عن الكمال، وداء خطير ومرض وبيل يصيب بعض النفوس الضعيفة فيدفعها إلى الغرور والإعجاب بالنفس وبطر الحق وغمط الناس وانتقاصهم، والشعور بالاستغناء والرغبة في الامتياز عليهم، ويجلب مقت الله فكم من نعمة انقلبت نقمة وكم من عز وكرامة وقوة صارت ذلا وضعفا وهوانا، وكان سببا لقسوة القلب وانتكاسه قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ [غافر ٣٥] وسبب لحرمان الهداية، قال ﷻ: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف ١٤٦].

ولما تكبر إبليس على آدم عليه السلام كان مصيره الطرد من رحمة الله، قال تعالى: ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الأعراف ١٣].وقال ﷻ: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [ص ٧٤] وكان مستقر المتكبرين النار قال

تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر ٦٠]

والتكبر بمجموعه ممقوت مذموم لأنه يؤدي إلى الكفر بنعم الله، إلا أنّ أقبح صوره التي يحبها الشيطان ويزينها للناس، الاستكبار عن طاعة الله وعدم الاستجابة لحكمه، وتصعير الخد وإمالته، والمشي على الأرض مرحا وبطرا، وإسبال الثوب، والاستهزاء والسخرية واللمز والغمز، والترفع عن مجالسة الفقراء والمساكين، والترغيب في قيام الناس له، وتزكية النفس وحب التفاخر والتكاثر.

وقد حكى الله تعالى لنا قصة ذلك المغرور المخدوع الذي لبّس الشيطان عليه فأصبح مثال الكبر والتكبر والفخر والخيلاء وما حل به حتى صار عبرة للخلف، فقال تعالى حكاية عن قارون: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص ٧٦- ٧٩].

وقال تعالى حكاية عن رأس الضلال والغواية فرعون: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ﴾ [طه ٧٩] وكان معجبا بنفسه وبملكه وبأنهاره وجنوده حتى كان هلاكه في ذلك قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي

مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الزخرف ٥١- ٥٤].

ولا يزال في الناس من عكس المفاهيم وقلب الموازين، فيفتخر بالمادة وينظر بالنظرة المادية ويزن بميزان المادة ويعطي ويمنع أو يغضب ويرضى لأجل المادة، فالفضل في نظره بالمادة فحسب، وهذا لا شك في أنه امتداد لنظرة فرعون وقارون المادية ومن كان على شاكلتهم.

ولذا كان من نتائج الزهو والكبر والتكبر:

أ- اغترار المرء بكثرة علمه وغزارة معارفه، فيمنعه ذلك من الاستزادة والاستفادة واحتقار أهل العلم وانتقاصهم، كما أعجب إبليس بحاله واغتر بنفسه وافتخر بأصله وبكثرة علمه فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ فكان مصيره الطرد من رحمة الله ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف ١٢، ١٣] ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [ص ٧٨].وكحال ذلك الراهب الذي حكى الله عنه بقوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ [الأعراف ١٧٥].

ب- اغترار المرء بكثرة ماله ووفرة ثروته، الذي يحمله على التبذير والإسراف ومنع حق الله فيه، كما أعجب قارون بنفسه واغتر بوفرة ماله، فتعالى على خلق الله وفرح وبطر الحق وغمط الناس، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ فكان النتيجة

الهلاك والدمار ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص ٧٦].

ج- اغترار المرء بالقوة والكثرة والإعجاب بعزة السلطان ووفرة العدَدِ والعُدَّة، الذي يحمله على الظلم والتعدي أو الاتكال على النفس أو على غير الله أو الاستهانة بالعدو، كما اغترت عاد بقوتها وحضارتها وأعجبت بسلطانها وقالوا: ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ... ﴾ [فصلت ١٥] فكانت النتيجة الهلاك والدمار ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [فصلت ١٦].

وكما أعجب أصحاب رسول الله ﷺ في حنين بكثرتهم وقالوا: "لن نُغلب اليوم مِن قلة !" فأصيبوا بهزيمة مريرة حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، قال ﷻ: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [التوبة ٢٥].

د- اغترار المرء بالصحة والنشاط وبالفراغ وراحة البال، الذي يحمله على اللهو البطر والقعود والتقاعس والتسويف عما ينفعه في العاجل والآجل، كحال المنافقين الذين غرتهم الأماني، قال ﷻ حكاية عنهم: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ

هِيَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحديد ١٣- ١٥].

هـ- اغترار المرء بالنسب وإعجابه بالشرف والحسب، الذي يحمله على احتقار الناس واستصغارهم، متجاهلا في ذلك قاعدة الإسلام الأساسية: "من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه" فيقعد عن اكتساب المعالي ويضعف عن طلب الكمالات، كحال اليهود والنصارى ومن كان على شاكلتهم حين قالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة ١١١] وقالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة١٨] فرد الله عليهم بقوله: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ [البقرة ١١١] وبقوله: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة ١٨].

وكحال المشركين حين عادوا رسول الله ﷺ وأصحابه وصدوا عن سبيل الله وادّعَو أنهم أهل الله لسكناهم مكة ومجاورتهم البيت وافتخارهم بالسقاية والرِفَادَة وكانوا يستكبرون على غيرهم، فرد الله عليهم بقوله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ....﴾ [التوبة ١٩] ووبخهم على استكبارهم وعنادهم وتماديهم في الطغيان: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ۝ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون ٦٦] وقال ﷺ مبينا حقيقة الترابط الذي يجب أن يترابط به المسلمون: "ألا إن آل أبي- يعني فلانا- ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين" (١).

و- اغترار المرء بعبادته وإعجابه بعمله وبكثرة طاعته، الذي يحمله على الامتنان على ربه الذي خلقه ومَنّ عليه بالنعم الكثيرة فيحبط بذلك عمله ويهلك ويشقى، قال الله ﷻ: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ...﴾ [فصلت ٤٦].

(١) صحيح مسلم جـ١/١٩٧، وانظر مجموعة التوحيد (٥٤٢).

وما نشاهده اليوم من الزهو والكبر والتكبر والغرور والعجب في بعض الناس إنما هو اتباع للهوى واستجابة للشيطان ومن تلبيسه، واقتداء برؤوس الضلال المتكبرين، وتلبية لرغبات النفس الرخيصة المحرمة التي تكون سببا لصرف الهداية والطبع على القلوب أعاذنا الله من ذلك.

المبحث العاشر: مكيدة: اتباع الهوى:

إنّ اتباع الشيطان واقتفاء أثره والسير على خطواته، مِن اتباع الهوى المردي في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية، قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة ١٦٨] قال الراغب: أي لا تتبعوه، وذلك نحو قوله: ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ ﴾ [ص ٢٦] [(١)]. ومقتضى العقل والمنطق اعتقاد السوء في العدو مهما قدم من النصائح، قال ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ .[البقرة ٢٠٨].والعاقل من يحذر عدوه ولا يعتقد فيه نصحا أو خيرا، قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ..﴾ [النور ٢١].

فإذا قصد الشيطان إيقاع العبد في مهلكة استدرجه إلى المعاصي والمخالفات خطوة خطوة بدءاً بالشبهات وبالأشهى والأرغب للنفس حتى يوقعه فيما هو أشد وأفظع وأنكى.

(١) مفردات الراغب (٢٨٨).

فمن خطوات الشيطان:

١- اتباعه في تحسينه القبيح وتزيينه المحرمات، وتحليل الحرام وتحريم الحلال وتسمية الأشياء بغير اسمها.

٢- من خطوات الشيطان ما ابتدعه أهل الجاهلية- ومَن سار على سيرهم- من البَحيرة والسائبة والوصيلة كتقديم القرابين والنذور والأوقاف للأضرحة، قال تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ...﴾ [المائدة ١٠٣] (١).

٣- من خطوات الشيطان التقليد الأعمى بدون دليل أو برهان، كتقليد الرافضة وجهلة المتصوفة وأمثالهم حتى وإن خالفوا الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ....﴾ [المائدة ١٠٤]

٤- من خطوات الشيطان، تشريع الشرائع وتقنين القوانين المخالفة لشرع الله أو التحاكم إلى غير الله، قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى ٢١] (٢). مثل إحداث القوانين الوضعية والبدع في الدين اعتقادا بأن الدين غير مكتمل، أو دعوة الناس إلى تقليدهم، قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا

---

(١) البحيرة: شق الأذن، كانت الناقة إذا نتجت خمسة أبطن بحرت، فخليت بلا راع وجعل دَرّها للطواغيت فلا يحتلبها أحد من الناس، فشق أذنها علامة لها، السائبة: يكون النذر على الرجل إن سلمه الله من مرض ونحوه سيب بعيرا أو ناقة فلا يحبس عن رعي أو ماء ولا يركبه أحد، الوصيلة: هي الدابة تلد أنثى بعد أنثى، أو تلد سبعة أبطن فإن كان السابع ذكرا ذبح فأكل منه الرجال والنساء، وإن كانت أنثى تركت في الغنم، أو تلد ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوها لمكانها، أو تلد أنثى فهي لهم وإن تلد ذكرا فهي لآلهتهم، والحام: الفحل إذا نتج من صلبه عشرة قالوا: حمى ظهره فلا يركب.
فتح القدير جـ٢/٨٢.

(٢) انظر أحكام القرطبي جـ٢/٢٠٧، ٢٢/٣، روح المعاني جـ١/٣٨، ٩٧، في ظلال جـ١/١٥٥، ٢١١.

وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى ١٣].

٥- من خطوات الشيطان فعل الفرق التي انحرفت عن الحق في عباداتها بالأهواء والآراء الفاسدة والتأويلات المخالفة للكتاب والسنة، قال ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ .[الأنعام ١٥٣].

ومن يبتغ غير الإسلام دينا من اليهودية والنصرانية وسائر الملل وأهل الأهواء فهو من هذه السبل المتفرقة، وكلها غير سبيل محمد صلى الله عليه وسلم ومدخل للشيطان لإغواء ابن آدم، فمن خرج إلى تلك الطرق والأهواء أفضت به إلى النار، .قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام ١٥٩] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم ٣١].

يقول الأوزاعي مبينا خطر السبل المنحرفة: قال إبليس لأوليائه من أي شيء تأتون بني آدم ؟، فقالوا: من كل شيء. قال: فهل تأتونهم مِن قِبَل الاستغفار ؟، قالوا: هيهات! ذلك شيء قرن بالتوحيد، قال: لأبثن فيهم شيئا لا يستغفرون الله منه، قال: فبث فيهم الأهواء [1].

وخطر البدع على الدين بمكان معلوم، والقلوب إذا اشتغلت بالبدع أعرضت لا محالة عن السنن، ولا أسهل مدخلا للشيطان لإغواء ابن آدم من البدع لأنه يأتيه من باب التعبد والقربة، وفي هذا يقول الثوري: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ المعصية

(١) أحكام القرطبي جـ٧/ ١٤٠، ١٤١.

يُتَاب منها والبدعة لا يُتَاب منها، لأن صاحب البدعة يرى البدعة على أنها عبادة مشروعة [1].

وفي هذا روي عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: أن النبي ﷺ خط لنا خطا، ثم قال: "هذا سبيل الله" ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: "هذه سبل- قال رواى الحديث: متفرقة- على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام ١٥٣] [2].

٦- من خطوات الشيطان، تناسي عداوة الشيطان واتباع نصائحه وما يزينه من شهوات على حين أنه عدو مبين، وترك الاستعاذة من شره ووسوسته وهمزه ولمزه وهمسه، قال ﷻ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس ٦٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر ٦] وقال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف ٥٠].

٧- من خطوات الشيطان، تزيينه للناس الرياء الذي هو قرين النفاق والشرك، قال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء ٣٨].

قال الزمخشري: حملهم على البخل والرياء وكل شر [3].

---

(١) أحكام القرطبي جـ٧/١٤٠، ١٤١.

(٢) مسند أحمد جـ١/٤٣٥، ٣/٣٩٧.وصححه ابن كثير جـ٢/١٩٠.وانظر أحكام القرطبي جـ٧/١٣٧، ابن كثير جـ٢/١٩٠، روح المعاني جـ٣/٥٦، في ظلال جـ٢/١٢٣٤.

(٣) الكشاف جـ١/٥٠٠، وفتح القدير جـ١/٤٦٦، والزمخشري هو: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، من أئمة التفسير واللغة ت (٥٣٨) الأعلام جـ٧/١٧٨.

وقد نفى الله تعالى الإيمان عن المرائي فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ [البقرة ٢٦٤] ويُعَد الرياء والتكاسل والتواني عن أداء الطاعات من أبرز صفات النفاق والمنافقين الذميمة، قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ ..﴾ [النساء ١٤٢] قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ ...﴾ [التوبة ٥٤] وقال ﷻ: ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ ... ﴾ [النساء ١٢٤].

وتوعد الله المرائي بالعذاب الأليم فقال ﷻ: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴾ [الماعون ٤- ٧].

٨- من خطوات الشيطان، تثبيطه عزائم العباد بتسويله العجز والكسل في فعل الطاعات والتثاقل عن المسارعة في كسب الرغائب، وقد أمرنا الله تعالى بمخالفة الشيطان بالمسارعة في فعل الطاعات فقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ﴾ [المجادلة ١١].

وقد كان ﷺ كثيرا ما يقول في دعائه: "اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل..." [(١)] ويوصي أحد أصحابه بالحرص والمسارعة فيما ينفعه في العاجل والآجل فيقول: "احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإذا أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن "لو" تفتح عمل الشيطان" [(٢)].

---

(١) صحيح مسلم جـ٤/٢٠٧٩.

(٢) صحيح مسلم جـ٤/٢٠٥٢.

ويتجلى هذا الخلق الذميم في: التثاقل أو التشاغل عن إجابة داعي الله بنوم أو كلام أو عمل غير ضروري، والتكاسل أو التشاغل أو التسويف عن أداء الوجبات الدينية أو الدنيوية أو تأخير فرص الخير تعرض للمرء باللهو واللعب والعبث إلى غير ذلك، والإقامة بدار الذل والهوان، والتعاجز والتكاسل عن طلب وطن الكرامة والعز الذي يصون فيه دينه وعرضه وماله.

٩- من خطوات الشيطان، ما زينه للناس من أنواع الظلم والتعدي على عباد الله في أعراضهم وأموالهم ودمائهم، وصرفهم عن قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان ١٩].

١٠- من خطوات الشيطان، ما زينه للناس من التحاسد والتباغض، الذي يعبر عن الاعتراض على قسمة الله بين خلقه، قال ﷻ: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ...﴾ [النساء ٥٤] وقال ﷻ: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ...﴾ [الزخرف ٣٢].

١١- من خطوات الشيطان، ما زينه للناس من الغش والخداع والغدر والخيانه، جلبا للمال أو الاستكثار منه، أو إخلاف الوعد أو طلب الرياسة بدون حق، قال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب ٥٨] وقال تعالى: ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ [الفتح ١٠] وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [فاطر ٤٣].

١٢- من خطوات الشيطان، ما يزينه من السوء والشهوات والرغبات النفسية والمنهيات الشرعية، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة ١٦٩].

المبحث الحادي عشر مكيدة: الشهوات والرغبات النفسية:

إنّ الإنسان بطبيعة خِلْقَتِه رُكِبَت فيه شهوات ورغبات، وهي بمثابة نوازع ودوافع ضمانا لبقاء حياة البشر، قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [البقرة ٢٥١] وإنّ النفس بطبيعة تركيبها وجبلتها تميل إلى الشهوات، وتتثاقل التكاليف الشرعية، كما قال ﷻ: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران ١٤].

وفي الحديث يقول ﷺ: "حُفّتِ الجنة بالمكاره، وحُفّت النار بالشهوات"[(١)].أي: أن الجنة لا يتوصل إليها إلا باقتحام المكاره، وذلك بالاجتهاد فى العبادات والصبر على مشاقها والصبر عن الشهوات ونحو ذلك.

والنار بارتكاب الشهوات المحرمة، لأنها محفوفة بها ويسيطر عليها الشيطان، ولأجل ذلك كانت الشهوات المحرمة من حبائل الشيطان ومكايده التي يتصيد بها بني آدم، ليقذف بها في قلوبهم ليضلوا [(٢)].

والإرادة الإلهية تقضي ضبط هذه الشهوات بضابط الشرع والتغلب عليها بالقيام بالتكاليف، ليتحقق التوازن ولا تطغى على حق الغير، فإذا تغلب جانب التكاليف الشرعية على الشهوات كان ذلك تلبية لنداء الرحمن، وإذا تغلب جانب الشهوات كان ذلك تلبية لنداء الشيطان، كما ذكر ابن الجوزي أن إبليس- أخزاه الله- ظهر ليحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام، فرأى عليه معاليق من كل شيء، فقال: يحيى: يا إبليس ما هذه المعاليق التي أَرَى عليك ؟، قال: هذه الشهوات التي أصيد بهن ابن آدم،

(١) صحيح مسلم جـ٤/٢١٧٤.

(٢) انظر شرح مسلم للنووي جـ٥/٦٨٧.

قال: فهل لي فيها من شيء ؟، قال: ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وثقلناك عن الذكر، قال: فهل غير ذلك ؟، قال: لا والله، قال: لله عليّ أن لا أملأ بطني من طعام أبدا، قال إبليس: ولله عليّ أن لا أنصح مسلما أبدا [1].

وأعظم شهوة تنزلق عندها أقدام الرجال: شهوة النساء لذا قُدِّمت فى الذكر، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾، وفي هذا يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: "حُبب إليّ من الدنيا النساء والطيب" [2]. وذلك لكثرة تشوف النفوس إليهن ولعراقتهن في معنى الشهوة.

وفيهن فتنتان: فتنة قطع الرحم: فغالبا ما تكون المرأة سببا في قطع زوجها عن الأمهات والأخوات والقرابة.

وفتنة جمع المال: فقد لا يبالي الرجل في سبيل إرضاء المرأة جَمَع المال من حلال أم من حرام، وغالبا ما يأتي الشيطان من قِبلهن لأنهنّ حبائله ولضعف الرجل أمام هذه الشهوة، وصدق المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث يقول: "اتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت النساء" [3] وقال ﷺ: "ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء" [4].

ثم ثنى على شهوة النساء بشهوة هي من ثمرات النساء وهو حب: البنين وفى الحديث: جاء الحسن والحسين يَسعَيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فضمهما إليه وقال: "الولد مبخلة مجبنة محزنة" [5]. أي: يحمل الإنسان على البخل والجبن ويتسبب في

---

(١) تلبيس إبليس (٢٥).

(٢) أخرجه النسائي جـ٧/٦١، وصححه الألباني جـ٣/٨٧.

(٣) أخرجه مسلم جـ٤/٢٠٩٨.

(٤) أخرجه مسلم جـ٤/٢٠٩٧.

(٥) أخرجه ابن ماجه جـ٢/٣٠٩، قال البوصيري: إسناده صحيح، وأحمد جـ٤/١٧٢.

جلب الحزن، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن ١٤].

ثم عطف بشهوة جمع المال المنبعث عن النساء والأبناء، بقوله: ﴿ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾ تحقيقا لرغبات الزوجة والأبناء.

وقد فُتِن بجمع المال كثير من الناس - لا سيما في أعقاب الزمان - حتى وإن كان فيه حتفه، فلا يبالي ذهب بالمال أم ذهب المال به، والآية سيقت للتنفير عن الحظوظ النفسانية التي كثيرا ما يقع التنافر أو القتال بسببها، لذا كان الحرص الشره في جمع المال من مكايد الشيطان وحيله [(١)].

المبحث الثاني عشر مكيدة: التلبيس:

يقال: لبّست الشيء بالشيء خلطته به، قال الراغب: أصل اللبس ستر الشيء، ويقال ذلك في المعاني، يقال: لبَسْت عليه أمره قال تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [البقرة ٤٢] وقال تعالى: ﴿ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [آل عمران ٧١] [(٢)] أي: لا تَخلِطوا بما هو من عند الله ما ليس منه فيختلط الحق بالباطل، أو لا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم [(٣)].

ومكيدة اللبس أيضا مدخل واسع من مداخل الشيطان، فإذا التبس الحق بالباطل

---

(١) ومن بديع السجع قول بعض مشايخنا: رأيت الناس قد مالوا إلى مَن عنده مال، رأيت الناس مُنْفَضّه إلى مَن عنده فضّه، رأيت الناس قد ذهبوا إلى مَن عنده ذهب.

(٢) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني (٧٣٥).

(٣) انظر الكشاف للزمخشري جـ١/ ١٣٥.

كان ذلك ذريعة أو سببا وطريقا ممهدا لاقتحام المحرمات أو تحريم الحلال والانقياد لمعهود الطبع أو لمستحسنات العقل وقبول أحكامه المجردة دون التحاكم إلى شرع الله كما هو حال الناس سواء كانوا مسلمين أم كفارا حيث انحرفوا عن الجادة بسبب إفراطهم في تحكيم العقل وإقحام الطبع والعادات وإغراقهم في الفلسفة العقلية، فكان من آثار هذا التلبيس أن وُجد كثير من أبناء الإسلام ينافحون عن البدع والخرافات والشرك أشد مِن منافحتهم عن السنة بل كثير منهم يجهلون السنة، مثلهم كمثل المشركين الذين لبّس الشيطان عليهم الحق بالباطل وطريق الهداية بطرق الغواية، فحرموا وحللوا من تلقاء أنفسهم، وتصافحوا وتباغضوا وبذلوا ومنعوا وقاتلوا وقُتِلوا دفاعا عن المعبودات من دون الله، قال تعالى عنهم: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ [الأنعام ١٣٦، ١٣٧].

قال الشوكاني: أي زيّن الشيطان لهم في قسمة أموالهم بين الله وبين شركائهم، كان الرجل يحلف بالله لئن ولد له كذا من الذكور لينحرن أحدهم كما فعله عبد المطلب [(١)].

وينطبق على هذا ما هو حاصل اليوم في بعض البلدان الإسلامية أو من بعض المنتسبين إلى الإسلام من تقديم القرابين واستقطاع الأقطاع للأضرحة ولسدنتها وإيقاف الأوقاف لبعض الجماعات وأهل الطرق المنتمية إلى غير سبيل المؤمنين [(٢)].

هذه جملة من مكايد الشيطان وحيله وحبائله التي يتطرق إليها عدو الله إبليس

(١) فتح القدير للشوكاني جـ٢/١٦٥.

(٢) انظر كتاب: تلبيس إبليس لأبي الفرج ابن الجوزي.

لإضلال البشر، نسأل الله اللطف والحماية.

وأخيرا: ذكر الله تعالى أنّ أمنية الشيطان الغالية ورغبته الملحة رؤية الناس كلهم ضالين، قال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء ٦٠]

وإرادة الله تعالى أن نكون من المهتدين، لذا أمرنا وأوجب علينا أن نعرف طرق الحيطة والحذر والوقاية من هذه المكايد والحيل، حتى نحذر من مكايد الشيطان وحيله ومكره فلا نقع فيها.

* * *

الفصل الثاني: طرق الحيطة والحذر من مكايد الشيطان:

إنّ من فضل الله ومِنّته على عبده أن رزقه عقلا يعتصم به من كيد الشيطان وشره، وحِجْرا يأمره بالعدل والقصد، وفَهْماً يسترشد به فيما ينفعه ويضره، لئلا يبقى في حيرة من أمره، فبين الله تعالى عداوة الشيطان في كل صورها وأشكالها ليكون الإنسان على حذر منها:

فتارة ذكرها بالعداوة الظاهرة، فقال: ﴿ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ [القصص ١٥].وتارة أمر بالحذر من عداوته فقال: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر ٦].وتارة بذكر وسوسته وتخويفه من عدو الإنسانية الفقر فقال: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [البقرة ٢٦٨] وفي أخرى بعدم اتباع نهج الشيطان وطرائقه، فقال: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة ١٦٨].

فمهما كبرت مكايد الشيطان وتعددت طرق غوايته، ومهما عظم المكر والخبث منه، إلا أن الله قد سهل لنا مقاومته، فرزقنا سلاحا فتاكا سهل الحمل والتملك قريب المنال تضمحل أمامه بتوفيق الله كل مكايد الشيطان وتذوب كل حيله، ألا وهو الاعتصام بكتاب الله تعالى الذي كشف لنا عن مكايد الشيطان وخبثه وطرق غوايته، وبين لنا كيفية الوقاية والتحفظ منه.

المبحث الأول: الالتزام بالكتاب والسنة:

إنّ الالتزام بالكتاب والسنة علما وعملا ودعوة ونصحا، لمن أعظم سبل الوقاية من الشيطان ومن أقوى طرق الحماية والحفاظ من مكايده وغوايته، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ ..﴾ [النحل ٩٨] وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ [الإسراء ٤٥].

لأن كتاب الله تعالى صراطه المستقيم يهدي للتي هي أقوم في كل سبل الحياة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ....﴾ [الإسراء ٩] وبين سبحانه وتعالى أن هذا القرآن عصمة من الزلل والزيغ والفرقة والضياع فقال: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام ١٥٣].

وذكر بأن هذا القرآن مصدر التضامن الذي لا تنفصم عراه، والقوة التي لا تغالب فقال: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ...﴾ [آل عمران ١٠٣] وذكر سبحانه وتعالى أن كتابه هو الحصن الحصين والكتاب المستبين، عصمة ونجاة من كل فتن ومحن، وخلاصا من كل مكروه ومرهوب، ومخرجا من كل هم وحزن وضيق، ومغنما من كل خير، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [النساء ١٧٤، ١٧٥].

وقال ﷺ في حديث طويل: "...وآمركم أن تذكروا الله، فإنّ مَثَل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثرِهِ سراعا، حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله" (١).

وعن عليّ ﷺ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ألا إنها ستكون فتنة" فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله ؟، قال: "كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم،

(١) أخرجه الترمذي جـ٨/١٦٢، وقال: حديث حسن صحيح غريب، والآية من أول سورة الجن.

وخبر ما بعدكم، وحُكْمُ ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، مَن تركه مِن جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق - أي: يبلى ويصير قديما - على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِى إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن١ - ٢] من قال به صدق، ومَن عمل به أُجر، ومَن حَكَمَ به عدل، ومَن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم"[(١)].

المبحث الثاني: الاستعاذة بذكر الله والالتجاء إليه من الشيطان:

قال ابن كثير: الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر، والعياذة تكون لدفع الشر، ومعنى: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) أي: أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه.

فإن الشيطان لا يكُفّه عن الإنسان إلا الله ولا تنفع معه مداراة أو مصانعة، بخلاف شيطان الإنس فإن الله تعالى أمر بمصانعته والإحسان إليه ومداراته بإسداء الجميل إليه ليرده طبعه الأصلي إلى الموالاة والمصافاة وليمنعه عما هو فيه من الأذى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ

(١) سنن الترمذي، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وفي إسناده مجهول، وفي حديث الحارث الأعور مقال، جـ٨/٢١٨- ٢٢١. قال المباركفوري: وأخرجه الدارمي وإسناده مجهول تحفة الأحوذي جـ٨/٢٢١، قال ابن حجر: كذبه الشعبي في رأيه، ورُمي بالرفض وفي حديثه ضعف. تقريب التهذيب ص (١٤٦).

ويقول الشيخ محمد أبو شهبة: إن المتأمل فيه يجد قبسا من نور النبوة، وحِكما من ينابيع الوحي، مما يجعل القلب يطمئن إليه، المدخل لدراسة القرآن الكريم (١٣).

كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت ٣٤].

قال: وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن لأنه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل ولا تنفع معه حيل، ولا ينقاد لمعروف، لأنه شرير الطبع، ولا يكفه عنك إلا الذي خلقه[1].

ولعظيم أمر الاستعاذة وشدة حاجة الناس إليها قد تكرر الأمر بها في كثير من الآيات وفي أساليب مختلفة، فمرة ذكر الله تعالى بأنها تقي من نزغات الشيطان فقال ﷻ: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ .[الأعراف ٢٠٠].وقال ﷻ: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ .[فصلت ٣٦].

ومرة بأنها مفتاح القراءة التي تحفظ العبد من سلطان الشيطان فقال ﷻ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ .[النحل ٩٨- ١٠٠].

ومرة بأنها الحصن الحصين من كيد الشيطان ومكره فقال ﷻ ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ .[المؤمنون ٩٧].

وكما أمر الله العبد بالاستعاذة من الشيطان في كل الأحوال، فكذلك أمر باجتناب أسباب تسلطه عليه، وإنّ من أكبر أسباب تسلط الشيطان: الغضب، لذا كان علاج الغضب الاستعاذة، روي أنه استب رجلان عند النبي ﷺ وأحدهما يسب صاحبه

(١) ابن كثير جـ١/ ١٥، وانظر إغاثة اللهفان (١٠٥)، وابن كثير هو: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، حافظ مفسر مؤرخ ت (٧٧٤هـ). الأعلام جـ١/ ٣٢٠.

مغضبا قد احمر وجهه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" [1]، لأن الغضب من الشيطان، وإنّ الإنسان إذا غضب خرج من طوعه وفقد وعيه وفقد التحكم في نفسه واستولى واستعلى عليه الشيطان.

ذكر ابن الجوزي عن وهب بن منبه أنه قال: قال راهب للشيطان وقد بدا له، أيّ أخلاق بني آدم أَعْوَن لك عليهم، قال: الحِدّة- أي الغضب- إن العبد إذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة [2]، وربما اشتد الغضب فيؤذي المغضوب عليه فينتقص ذلك من الدين، وقد يؤول إلى التقاطع ومنع الرفق، لذا من ملك نفسه عند الغضب كان لقمع شيطانه أقوى[3].

---

(١) صحيح البخاري جـ١٠/٥١٨.

ذكر ابن حجر عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ مر بقوم يصطرعون فقال: (ما هذا ؟) قالوا: فلان ما يصارع أحدا إلا صرعه، قال: (ألا أدلكم على من هو أشد منه ؟، رجل كلمه رجل فكظم غيظه فغلبه وغلب شيطانه وغلب شيطان صاحبه) قال ابن حجر: رواه البزار بسند حسن، وفى الطبراني: من حديث سفيان الثقفي قلت يا رسول الله: قل لي قولا أنتفع به وأقلل، قال: (لا تغضب، ولك الجنة) فتح الباري جـ١٠/٥١٩.

(٢) تلبيس ابليس (٣٠).

(٣) قال بعض العلماء: خلق الله الغضب من النار وفى الحديث (إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تُطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ) مسند أحمد جـ٤/٢٢٦، وجعله غريزة فى الإنسان، فمهما قُصِد أو نُوزع في غرض ما اشتعلت نار الغضب وثارت حتى يحمر الوجه والعينان من الدم، ويترتب على الغضب، تغير الظاهر والباطن وخروج الأفعال من غير ترتيب، واستحالة الخِلْقة.

وأما الباطن فقبحه أشد من الظاهر، لأنه يولد الحقد فى القلب والحسد وإضمار السوء على اختلاف أنواعه.

وأما أثره فى اللسان: فانطلاقه بالسب والشتم والفحش الذي يستحي منه العاقل ويندم قائله عند سكون الغضب، ويظهر أثر الغضب أيضا فى الفعل: بالضرب أو القتل، وإن فاته ذلك بهرب المغضوب عليه، رجع إلى نفسه فيمزق ثوب نفسه، ويلطم خده، وربما سقط صريعا، وربما أغمي عليه، وربما كسر الآنية وضرب من ليس له في ذلك جريمة، ولذا قال ﷺ (إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه

ولذا كانت معظم وصايا الرسول ﷺ منصبة على كظم الغيظ واجتناب الغضب، لعلمه بخطورة الغضب وبنتائجه الوخيمة، فيوصي أحد أصحابه قائلا: "لا تغضب" فردد مرارا، وفي رواية عند أحمد: قال الرجل: ففكرت حين قال النبي ﷺ ما قال، فإذا الغضب يجمع الشر كله [1].

ولما كان الغضب هائجة مفقودة الزمام لذا يقول ﷺ: "ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" [2].

فبالغضب تُسال الدماء، وبالغضب تطلق الزوجات وتضيع الأسر المتماسكة، وبالغضب تُرتكب الموبقات والمنكرات وتقذف المحصنات إلى غير ذلك مما هو معلوم، ولذا جعل سبحانه اجتناب الكبائر والفواحش، والإنفاق فى السراء والضراء، والعفو عن الناس عند الغضب وكظم الغيظ في درجة واحدة، وجعل الموصوف بهذه الصفات من المتقين، فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [الشورى ٣٧] وقال: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران ١٣٣- ١٣٤].

فإذا أصاب العبد مَسّ من الشيطان فليبادر بالاستعاذة من وسوسته وهمزه ولمزه وغمزه وهمسه حتى لا يجد سبيلا إليه، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا

الغضب، وإلا اضطجع) مسند أحمد جـ٥/١٥٢. ومن تأمل هذه المفاسد، عرف مقدار ما اشتملت عليه هذه الكلمة اللطيفة من قوله ﷺ: (لا تغضب) من الحكمة واستجلاب المصلحة في درء المفسدة مما يتعذر إحصاؤه والوقوف على نهايته. انظر فتح الباري جـ١٠/٥٢٠.نسأل الله العافية والسلامة.

(١) صحيح البخاري جـ١٠/٥١٨، مسند أحمد جـ٥/٣٧٣.

(٢) صحيح البخاري جـ١٠/٥١٨، مسند أحمد جـ٥/٣٧٣.

مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف ٢٠١] (١).

المبحث الثالث: الاستعاذة من همزات الشيطان:

وهمزات الشيطان نخسه ودفعه وأزّه، فمن همزه وَسْوَسته وهمسه في صدر ابن آدم: حثه على المعاصي على الدوام وحضوره في كل الأحوال وعند كل الأشياء، كما قال النبي ﷺ: "إنّ الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه، حتى يحضره عند طعامه..." الحديث (٢).

ولأجل عظم أمر الاستعاذة من همزات الشيطان وكبير خطرها، أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالاستعاذة - مع عصمته - تعليما لأمته فيستعيذوا في كل الأوقات من نزغات الشيطان ونخسه ودفعه ولمزه ووساوسه الشاغلة عن ذكر الله، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون ٩٧].

عن ابن عباس رضى الله عنهما: حال الصلاة وقراءة القرآن، وعن عكرمة أي: وقت حلول الأجل، لأن وقت الاحتضار لحظات خطر شديد على خاتمة ابن آدم، ولذا قيل: اللهم إني أعوذ بك من النزغ عند النزع، وكان يقول ﷺ: "وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت..." (٣)، حتى لا يغفل عنها ابن آدم فيستغلها الشيطان، فكان ﷺ يقول: "اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، وهمزه ونفخه ونفثه" قال همزه: الموتة، ونفثه: الشِّعر، ونفخه: الكبر (٤).

---

(١) أحكام القرطبي جـ٧/٣٤٧، جـ١٠/١٧٤، ابن كثير جـ٢/٢٧٧، ٥٨٥، روح المعاني جـ٣/١٤٧، جـ٥/٢٢٨، في ظلال جـ٣/١٤١٩، ٤/٢١٩٤.

(٢) أخرجه مسلم جـ٣/١٦٠٧.

(٣) سنن أبي داود جـ٢/٩٢ وصححه الألباني صحيح الجامع جـ٢/٤٠٥، وانظر روح المعاني جـ٦/٦٢.

(٤) أخرجه أبوداود جـ١/٢٠٣، وابن ماجه جـ١/١٤٥.وانظر أحكام القرطبي جـ١٢/١٤٨، ابن كثير جـ١/١٢، ٣/٢٥٤، روح المعاني جـ٦/٦٢، في ظلال القرآن جـ٤/٢٤٧٩، وإغاثة اللهفان (١٠٥).

قال ابن الأثير: لأن الشعر يُنفَث من الفم، والمتكبر يتعاظم ويجمع نَفْسَه ونَفَسَه فيحتاج أن ينفُخ [1].

وكان ﷺ حريصا على تعليم أمته، فمن ذلك قوله ﷺ: "إن الناس لم يتعوذوا بمثل هاتين- وفي رواية ما تعوذ الناس بأفضل منهما- : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [2].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها.

وعنها رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة، جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات [3].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع "أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون" وفي رواية: "فإنها لن تضره" وكان عبد الله بن عمرو يعلمهن من عقل من بنيه، ومن لم يعقل كتبها وعلقها عليه [4].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول: "إنّ أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان

---

(١) النهاية في غريب الحديث جـ٥/٨٨، ٩٠.

(٢) سنن النسائي جـ٨/٢٥١، والسنن الكبرى للنسائي جـ٤/٤٤٢، وبمثله أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح جـ٨/٢١٤.

(٣) صحيح البخاري جـ٩/٦٢، وانظر تلبيس إبليس (٣٣).

(٤) أخرجه أبوداود جـ٤/١٢، والترمذي جـ٩/٥٠٧، وقال: حديث حسن غريب.

وهامة، ومن كل عين لامة" [1]، وروي أنه ﷺ كان يُعوّذ بفاتحة الكتاب [2].

وذكر ابن الجوزي عن عبد الرحمن بن حنيش ﷺ قال: إنّ الشياطين تحدرت ليلة على رسول الله ﷺ من الأودية والشعاب، وفيهم شيطان بيده شعلة نار يريد أن يحرق بها وجه رسول الله ﷺ فهبط إليه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد قل، قال: ما أقول ؟، قال: قل أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن، قال: فطفئت نارهم، وهزمهم الله تعالى [3].

فالواجب على العبد اقتداءً بالنبي ﷺ أن يتعوذ في كل الأحوال وعند مباشرة كل الأمور، كما كان ﷺ يتعوذ في كل الأحوال وعند مباشرة كل أموره.

فمن ذلك قوله حال الجماع: "لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولد لم يضره" [4].

وقوله حال الخلاء: "اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث" [5].

وقوله حال الغضب حين استب عنده رجلان وأحدهما يسب صاحبه مغضبا قد احمرَّ وجهه: "إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من

---

(١) صحيح البخاري جـ٦/٤٠٨، وانظر تلبيس ابليس (٣٤).

والهامة: واحد الهوام، وهي ذوات السموم، أو كل نسمة تهم بسوء، واللامة: الملمة، والمراد به كل داء وآفة تلم بالإنسان من جنون وخبل. فتح الباري جـ٦/٤١٠، تلبيس ابليس (٣٤).

(٢) سنن ابن ماجه وفي سنده ضعف جـ٢/٢٨٩، ويؤيده قصة اللديغ أو السليم الذي رقي بفاتحة الكتاب صحيح البخاري جـ١٠/١٩٨.

(٣) تلبيس ابليس (٣٤).والأثر أخرجه أحمد جـ٣/٤١٩، وبمثله مالك مرسلا جـ٢/٩٥٠، انظر التمهيد لابن عبد البر جـ ٢٤/١١٢.

(٤) صحيح البخاري جـ١/٢٤٢، وانظر تفسير ابن كثير جـ٣/٢٥٤.

(٥) صحيح البخاري جـ١/٢٤٢.

الشيطان الرجيم" [1]. وغير ذلك من الأمور كثير مما هو معلوم من شمائله ﷺ في كتب السنن والسير.

ومن أسباب النجاة من كيد الشيطان ذكر الله، فما دام العبد مشتغلا بذكر الله فإن الشيطان لا يجد إليه سبيلا، ذكر ابن الجوزي عن أنس بن مالك ﷺ يرفعه قال: إن الشيطان واضع خطمه- أي: خرطومه- على قلب ابن آدم، فإن ذكر الله خنس، وإن نسي الله التقم قلبه، فذلك الوسواس الخناس [2].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: إن الشيطان طاف بأهل الذكر ليفتنهم فلم يستطع أن يفرق بينهم، فأتى حلقة يذكرون الدنيا فأغرى بينهم حتى اقتتلوا، فقام أهل الذكر فحجزوا بينهم فتفرقوا [3].

المبحث الرابع: لزوم الجماعة:

ومما يعصم المسلم ويحفظه من الوقوع في حبائل الشيطان ومكايده ومكره، لزوم ديار المسلمين وجماعتهم سواء كانت جماعة خاصة مثل جماعة الصلاة أو جماعة الجوار، أو عامة كالالتزام بالكتاب والسنة والقيام بالحق - ولا خير في جماعة لا تلتزم بالحق - واختياره الجماعة الطيبة والجيرة الطيبة والرفقة الصالحة التي تذكر بالحق إذا نسي وتعين عليه وتحضه إذا ذكر، وتنهاه عن ارتكاب السيئات والمخالفات، ففي الحديث عن أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من ثلاثة في قرية ولا بدوٍ، لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية" أي: المنفردة عن القطيع البعيدة منه، يريد أن الشيطان يتسلط

(١) صحيح البخاري جـ١٠/٥١٨.

(٢) تلبيس إبليس (٢٥)، قال ابن كثير أخرجه أبو يعلى وهو غريب جـ٤/٥٧٥.

(٣) تلبيس إبليس (٢٥).

على الخارج من الجماعة وأهل السنة [1].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : "عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، مَن أراد بُحْبُوحة الجنة- أي وسطها وخيارها- فليلزم الجماعة"[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : "يد الله مع الجماعة" [3]

وفي هذا تحذير شديد من مساكنة أهل الكفر واختيار جماعتهم أو طلب الانتماء إليهم أو إلى أوطانهم أو إلى مجتمعاتهم الفاسدة.

المبحث الخامس: فوائد جليلة وحِكَمٌ عظيمة للاستعاذة :

ذكر ابن قيم الجوزية [4] أن للاستعاذة حِكَم وفوائد فقال: أمر الله سبحانه بالاستعاذة به من الشيطان عند قراءة القرآن، وفي ذلك وجوه:

١- منها أن الاستعاذة قبل القراءة عنوان وإعلام وتنبيه للسامع بأن المَأْتِيّ به بعدها القرآن، ولهذا لم تشرع بين يدي كلام غيره، فإذا سمع السامع الاستعاذة استعد لاستماع كلام الله.

٢- منها أن القرآن شفاء لما في الصدور، يذهب ما يلقيه الشيطان فيها من الوساوس والشهوات والإرادات الفاسدة، وفائدة الاستعاذة عند القراءة لأجل حصول فائدة القرآن.

---

(١) سنن أبي داود جـ١/١٥٠، قال المنذري: وأخرجه النسائي مختصر سنن أبي داود جـ١/٢٩٠، وانظر النهاية جـ٤/٧٥.

(٢) سنن الترمذي جـ٦/٣٨٤، وقال: حديث حسن صحيح غريب.

(٣) سنن الترمذي جـ٦/٣٨٨.وقال: حديث غريب.

(٤) هو: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي مفسر محدث فقيه أصولي نحوي ت (٧٥١). شذرات الذهب جـ٦/١٦٨.

٣- منها أن القرآن مادة الهدى والعلم والخير في القلب، كما أن الماء مادة النبات، والشيطان نار يحرق النبات أولا فأولا، فكلما أحس بنبات الخير من القلب سعى في إفساده وإحراقه، فأمر أن يستعيذ بالله منه لئلا يفسد عليه ما يحصل له بالقرآن، ولكي تبقى هذه المادة باقية محفوظة ثابتة.

٤- منها أن الملائكة تدنوا من قارئ القرآن وتسمع لقراءته، والشيطان ضد المَلَكِ وعَدوّه، فأمر القارئ أن يطلب من الله مباعدة عدوه عنه حتى يحضره خاص ملائكته، فهذه منزلة لا يجتمع فيها الملائكة والشياطين.

٥- منها أن الشيطان أحرص ما يكون على الإنسان عندما يهم بالخير أو يدخل فيه، فهو يشتد عليه حينئذ ليقطعه عنه، وكلما كان الفعل أنفع للعبد وأحب إلى الله كان اعتراض الشيطان له أقوى، فيجلب على القارئ بخيله ورَجِله حتى يُشغله عن المقصود بالقرآن، وهو تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد به المتكلم به سبحانه، فيحرص بجهده على أن يحول بين قلبه وبين مقصود القرآن، حتى لا يكمل انتفاع القارئ به، فأمر عند الشروع في القراءة أن يستعيذ بالله منه[1].

٦- منها أن القارئ يناجي ربه بكلامه، والله تعالى أشد أُذنا للقارئ الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته- أي: المغنية- والشيطان إنما قراءته الشعر والغناء، فأمر القارئ أن يطرده بالاستعاذة عند مناجاة الله تعالى واستماع الرب قراءته.

٧- منها أن الله أخبر أنه ما أرسل من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته، فإذا كان هذا فعله مع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فكيف

(١) إغاثة اللهفان (١٠١).

بغيرهم ؟، ولهذا يَخلط على القارئ قراءته، أو يشوشها عليه فيخبط عليه لسانه، أو يشوش عليه ذهنه وقلبه فلا يدري ماذا يقرأ، فإذا حضر الشيطان عند القراءة لم يعدم القارئ منه هذا أو ذاك، وربما جمعهما له، فكان من أهم الأمور الاستعاذة بالله منه.

* * *

خاتمة:

وعلى ضوء ما سبق ذكره، ومن خلال عرضنا لموضوع: "مكايد الشيطان لإضلال الإنسان وطرق الحيطة والحذر منها كما عرضها القرآن الكريم" نستنتج من هذا البحث نتائج وفوائدة كثيرة من أهمها:

١- إنّ الإنسان وُجِد في هذه الدنيا عن علم، ولهدف معين ولغاية مقصودة، وطريق الوصول إلى هذه الغاية شاق ومؤقت، يرخص في سبيل نيلها كل غال وثمين، وكل نفس ونفيس، ألا وهي الجنة، فيجب عليه أن يدرك حقيقة هذا الهدف بكل دقة، كما يجب عليه أن يعرف طريق هذه الغاية المقصودة كمال المعرفة، ليحاول الوصول إلى هذا الهدف، ويسعى لنيل هذه الغاية بجميع جهده.

٢- إنّ الحائل بين الوصول إلى الغاية المقصودة والهدف المأمول المنشود هو الشيطان العدو، فيجب مقاومته، إزالة لهذا العائق حتى يسهل الوصول إلى الهدف، فيجب على العبد أن يأخذ بالأهبة الكاملة، وأن يكون على استعداد تام دائم شامل في كل حين ولحظة للمقاومة، ولا يغفل أو يتغافل طرفة عين عن ذلك حتى لا يخسر الدنيا والآخره.

٣- إن هذه الشهوات والرغبات التي تعتري قلوب العباد، إنما هي مدخل من مداخل الشيطان وأبوابه إلى القلوب، لذا فلا يستسلموا لها وليحرصوا كل الحرص على قفل مداخل الشيطان وأبوابه حتى لا يجد سبيلا إلى ذلك، وليحذروا كل الحذر من تمكن هذه الشهوات من النفوس، وليقاوموها دون هوادة حتى لا تأخذ مكانا في القلب فيصعب حينئذ مقاومتها

٤- يجب على العبد أن يعلم أنه مراقب مراقبة شديدة، ومحاسب محاسبة دقيقة، فعليه أن يضبط شهواته ورغباته النفسية بضابط الشرع حتى لا يحصل اعتداء

أو ظلم أو تعد على حقوق الله تعالى.

٥- ليعلم العبد أن الشيطان يدخل على العبد عن طريق الوساوس والشهوات، فيزين له الباطل ويقبح له الحسن، ولا يأتيه مباشرة يغويه أو يسلك به طرق الشر والفساد، أو يأمره بالمعاصي والفحشاء، أو يمنعه من فعل الخيرات وكسب الرغائب، حتى ينتظره العبد ليأتيه بجسده ليشاهده فيحذر منه.

٦- يجب على العبد أن يحترس ويتحفظ ويتحصن من كيد الشيطان بما جاء في الكتاب والسنة، والتمسك الكامل بهما منهجا وسلوكا ودعوة ونصحا، حتى يتم له ذلك على الوجه المطلوب، ومَن قصد التحصن أو التحفظ بغير كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فإن أمره إلى ضياع وشتات، تستولي عليه الشياطين مِن كل حَدَب وصوب.

٧- يجب على العبد أن يتوكل على الله حق التوكل لا على نفسه أو غيره، وليعلم أن من توكل على الله حق توكله، فإنه لن يخيب ظن عبده، وأنّ التوكل على غير الله أو على النفس من مفاتيح الشيطان ومداخله.

٨- لزوم جماعة المسلمين في كل شؤون الحياة وعدم الخروج عليهم، فإن الخروج عليهم من أسباب الضياع.

٩- المجالسة الطيبة والرفقة الصالحة حرز من الشيطان وحصن من وساوسه.

١٠- أهمية المداومة على الأوراد والأذكار اليومية والليلية، فإنها حرز وحصن من الشيطان.

وأخيراً: يجب على العبد الإكثار من تلاوة القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، ففيه العصمة والنجاة، ولا ملجأ ولا منجا ولا ملتجا للعباد ليسلموا من مكايد الشيطان ومكره وحيله وحبائلة إلا إليه.

وقد شهد الواقع أن الأمة لما كانت متمسكة بكتاب ربها، كانت أقوى وأعز وأشد

وأشرف أمة عرفها تاريخ البشرية، وفي أعقاب الزمان عندما تخاذلت وتخلت عن كتاب ربها، فسحت بذلك مجالا أمام الشيطان بجنوده، فزين لها الباطل، وأدخل عليها الأهواء والآراء المضللة، وزين لها الشهوات والملل والنحل الباطلة، ففرق جمعها ومزق شملها، فأصبحت أضعف وأذل وأهون أمة عُرفت في تاريخ البشرية على كثرة عددها ووفرة عُدّتها، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

هذا وقد صدق الإمام مسلم ﷺ حين قال: "لا يستطاع العلم براحة الجسم" [1] فإنني قد بذلت جهدا كبيرا في جمع وترتيب وتنسيق مادة هذا البحث القيم المبارك، ولا أدعي العصمة والكمال، ولا عدمت أخا كريما فاضلا نصوحا ستر الزلة وأسدى النصيحة، وأسأل الله العفو والعافية والإخلاص والمثوبة والنفع، وأن يجعله في ميزان حسنات والدي إنه سميع قريب مجيب الدعوات رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

(١) صحيح مسلم جـ١/٤٢٨.

فهرس المراجع:

١- **القرآن الكريم.**

٢- **الأعلام** للزركلي، دار العلم للملايين بيروت لبنان ط ١٢ ١٩٩٧ م.

٣- **إغاثة اللهفان** تحقيق مجدي فتحي السيد، دار الحديث الأزهر.

٤- **تاج العروس** شرح القاموس للزبيدي.

٥- **تفسير القرآن العظيم** لابن كثير، نسخة مصححة على نسخة دار الكتب المصرية دار إحياء التراث العربي بيروت ١٣٨٨هـ.

٦- **تلبيس إبليس** لأبي الفرج ابن الجوزي، المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز

٧- **التمهيد** لابن عبد البر النمري، ط المغرب.

٨- **الجامع لأحكام القرآن** للقرطبي وزارة الثقافة نشر دار الكاتب العربي للطباعة القاهرة ١٣٨٧ هـ.

٩- **جامع البيان** للطبري ط ٢ ١٣٧٣ هـمصطفى البابي .

١٠- **روح المعاني** للألوسي، دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ.

١١- **سنن أبي داود**، مراجعة وضبط محمد محيي الدين عبد الحميد دار الفكر .

١٢- **سنن الترمذي** ط٣، ١٣٩٩ هـ دار الفكر عبد الوهاب عبد اللطيف.

١٣- **سنن النسائي**، المطبعة الأزهرية بمصر.

١٤- **سنن ابن ماجه**، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي.

١٥- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** لابن العماد الحنبلي، دار الكتب العلمية بيروت.

١٦- **شرح مسلم** للنووي تحقيق عبد الله أحمد أبو زينه، دار الشعب.

١٧- **الصحاح** للجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ط ٢ ١٣٩٩ هـ القاهرة.

١٨- **صحيح البخاري** ضبط محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، المكتبة السلفية دار الفكر.

١٩- **صحيح الجامع الصغير** للألباني، المكتب الإسلامي تحقيق زهير الشاويش ط ٣ ١٤١٠ هـ.

٢٠- **صحيح مسلم** ضبط محمد فؤاد عبد الباقي مطبعة، دار احياء الكتب العربية.

٢١- **ضعيف الجامع الصغير** للألباني المكتب الإسلامي، تحقيق زهير الشاويش ط ٣ ١٤١٠ هـ.

٢٢- **عالم الجن والشياطين** للأشقر.

٢٣- **فتح الباري شرح صحيح البخاري** لابن حجر، المكتبة السلفية دار الفكر.

٢٤- **فتح القدير** للشوكاني، دار الفكر ط ٣ / ١٣٩٣ هـ.

٢٥- **في ظلال القرآن** لسيد قطب، دار الشروق القاهرة.

٢٦- **الكشاف** للزمخشري ط ١ ١٤١٥ هـ ترتيب محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية بيروت.

٢٧- **لسان العرب** لابن منظور، دار صادر بيروت.

٢٨- **مجموعة التوحيد** لابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب مكتبة دار حراء.

٢٩- **مسند أحمد** ترتيب رياض عبد الله عبد الهادي ط ٢ ١٤١٤ هـ دار أحياء التراث العربي.

٣٠- **معالم السنن شرح سنن أبي داود** للخطابي على مختصر المنذري، تحقيق محمد الفقي طبعة الملك خالد آل سعود مكتبة السنة المحمدية.

٣١- **معاني القرآن** للنحاس تحيقق محمد على الصابوني ط ١ ١٤١٠ هـ طبعة جامعة أم القرى.

٣٢- **المغازي** للواقدي عالم الكتب تحقيق د- مارسدن جونس بيروت ط ٣ ١٤٠٤ هـ.

٣٣- **مفردات ألفاظ القرآن** للراغب تحقيق صفوان عدنان داوودي ط ٢ ١٤١٨ هـ دار القلم دمشق.

٣٤- **النهاية في غريب** الحديث لابن الأثير، تحقيق الزاوي والطناحي، دار الفكر.

* * *